جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم

الحياة الأدبية و العلمية ببابل و نينوى من 1792 ق.م إلى 539ق. م

تقديم : الطالب أحمد دمانة
تحت إشراف د. بلقاسم رحماني

أعضاء لجنة الناقشة

الأستاذ : إبراهيم بشي رئيسا
الأستاذ : بلقاسم رحماني مقررا

السنة الجامعية 2008/2009

شكر

الحمد لله وبعد

أتقدم بجزيل الشكر و العرفان لكل أساتذتي الذين رافقوني في مسار دراستي بمعهد التاريخ و على رأسهم الأستاذ المشرف .

كما لا يفوتني أن اشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في مساعدتي على انجاز هذا البحث.

إهداء

..... إلى الولدين الكريمين حفظهما الله

إلى إخوتي الأعزاء

إلى زوجتي

إلى ابنتي

ماجدة

إلى كل

الأصدقاء و الزملاء.....

مقدمة

تزداد يوما بعد يوم أهمية الجوانب الأدبية و العلمية في عصرنا الحالي نظراً لما تلعبه من دور بارز في تطور الأمم و الحضارات، و تزداد هذه الأهمية أكثر عندما يتعلق الأمر بدراسة هذه الجوانب في الحضارات السابقة، و بصفة خاصة لدجى مؤرخي الفترة القديمة.

و لعل ما تصبوا إليه البشرية من تطور علمي منوط بجهود جبارة ارتبطت بالآداب و العلوم كان و ما يزال الإنسان تواقا للوصول إلى أعلى المراتب فيها، و قد لعبت الإرادة البشرية الدور الرئيسي في صنع الحضارة إبداعا و إنجازا.

و تعتبر بلاد الرافدين من أهم المناطق التاريخية التي كانت منبعا للآداب و العلوم، إذ هي من المناطق الرائدة في هذا الميدان، حتى أن أحد المؤرخين اعتبر الرافديين أصحاب ثورة معلوماتية أولى تضاهي الثورة المعلوماتية التي نعيشها اليوم، و ذلك باكتشافهم الكتابة التي نقلت البشرية من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية. و بعد أن عرفوا الكتابة واصل سكان بلاد الرافدين عبر حضاراتها المتعددة بالتأليف و التوثيق لكل ما وصلوا إليه في شتى المجالات من المعارف و العلوم لأكثر من ثلاثة آلاف سنة.

و في هذه الدراسة نحاول تناول جوانب على قدر كبير من الأهمية تتعلق بالإنجازات الحضارية ببابل و نينوى لا بحكمهما مدينتين فحسب بل لأنهما تمثلان عاصمتين لإمبراطوريتين مثلتا حلقة أساسية في حضارة بلاد ما بين النهرين، و نحاول بالدراسة التركيز على الجوانب العلمية و الأدبية بصفة خاصة من بين منجزات الرافديين الحضارية. لذا يمكننا أن نصوغ في هذا السياق الأسئلة التي يتمحور حولها بحثنا:

- ما هو الدور الذي لعبته الكتابة في بناء حضارة الرافدين ؟
- كيف أسهم الكتبة في تطوير العلوم ؟
- ما مدى إسهام البابليين و الآشوريين في ميدان الآداب و العلوم ؟

ربما نجد أن المؤرخين يركزون في كثير من الأحيان على الجوانب السياسية و الاجتماعية، إلا أننا نحاول تسليط الضوء على فترة قديمة من تاريخ العلوم و الآداب، متوخين في ذلك معالجة الموضوع للوصول إلى الأهداف التالية:

- إبراز دور الكتابة كأداة للتطوير الحضاري و أساس لبناء المعارف و العلوم.
- - تحديد دور الكتبة في العملية التعليمية بدراسة تكوينهم و مكانتهم في المجتمع، و إبراز مساهمتهم في توثيق تراث المنطقة.

- دراسة الجوانب الأدبية و العلمية في حياة الإنسان الرافدي في العصر القديم بالوقوف على إسهامات البابليين و الآشوريين في الآداب و العلوم بصفة خاصة.

و نظرا لطبيعة الموضوع حاولنا استعمال المنهج الوصفي و ذلك مع مراعاة عدم الخوض في التخصصات الأخرى، و الاكتفاء بالزاوية التاريخية للموضوع، إلا أن بعض النقاط تتطلب المقارنة سوءا للتأكيد أو النفي أو الوقوف على الآراء المختلفة.

يشتمل بحثنا على أربعة فصول، حيث نتناول فيه:

الفصل الأول: دراسة الإطار الجغرافي و التاريخي لبلاد الرافدين، ثم التطرق لمدينة بابل كعاصمة للدولة البابلية بالتركيز على عهد حمورابي و نبوخذنصر و ازدهار المدينة في فترة حكم كل منهما.

و يشمل هذا القسم أيضا مدينة نينوى في التركيز على فترة أوج ازدهارها عندما كانت عاصمة للإمبراطورية الآشورية و بصفة خاصة على عهد آشوربانيبال.

الفصل الثاني: تناول البدايات الأولى للكتابة و علاقتها باللغة، كما ندرس أيضا دور الكتبة في الحياة الفكرية ببلاد الرافدين، تكوينهم و مكانتهم في المجتمع كما تناول أيضا مكتبة نينوى كأكبر و أفضل نموذج لخزانات الكتب بالمنطقة.

الفصل الثالث: و ندرس هنا إسهام البابليين و الآشوريين في ميدان العلوم الإنسانية بالتطرق إلى ما وصلوا إليه في الأدب و التاريخ و الجغرافيا.

الفصل الرابع: نتطرق إلى ما وصل إليه الرافديون (البابليين و الآشوريين) في مجالات الطب، علم القوائم، و كذا الرياضيات و التنجيم.

تكتسي مصادر بحثنا أهمية خاصة إذ لم يكن معروف قبل القرن 19 م عن حضارة بلاد الرافدين من معلومات تاريخية إلا ما جاء في المصادر الكتابية عند الإغريق أو ما ورد في التوراة، و من أهم الأوصاف التي جاءتنا عن المنطقة نجد هيرودوت وسترابون، إلا أن هذه الأوصاف لم تكن على قدر كبير من الدقة نظرا لاعتمادها على الروايات الشفوية، بالإضافة إلى أن هيرودوت لم يتطرق إلى العلوم الآداب عند الرافديين ما عدا بعض الإشارات إلى عادات كانت تمارس في المنطقة لها علاقة بالطب.

أما ديودور فقد أورد أوصافا هامة في كتابه عن تأسيس مدينة نينوى في معرض حديثه عن العلاقة بين نينوس و سميراميس من ملوك الاشورين ، كما أن سترابون قد أعطى أوصافا للحدائق المعلقة ببابل .

فقد قلبت الدراسات الأثرية و اللغوية و التاريخية الحديثة كل المفاهيم والمصطلحات القديمة التي صاغها اللاهوتيون التوراتيون، فعالم الشرق الأدنى القديم و

خاصة بلاد الرافدين أصبح في ضوء المكتشفات الجديدة، أقدم ميدان للجهد البشري الاجتماعي و السياسي و الثقافي.

و على هذا الأساس فإن الاكتشافات الأثرية إبتداءا من القرن 19م كانت الرافد الأساسي الذي تستقي منه المعلومات عن الحياة الأدبية و العلمية ببلاد الرافدين خاصة بعد اكتشاف مكتبة نينوى، و التنقيب في مناطق أخرى كبابل و تل حرمل و بورسيبا و التي مثّلت خزانا حقيقيا للألواح التي تغص بالمعلومات عن تاريخ هذه المنطقة، خاصة بعد فكّ رموز الكتابة المسمارية، حيث أدت الجهود التي بذلت في بلاد الرافدين للتعرف على آثار حضارتها، إلى التعرّف على الحضارات القديمة فيها: السومرية والآشورية و البابلية، بعد قراء الخطوط المسمارية التي كتبت بها هذه اللغات، إلى تأسيس علم الدراسات الآشورية (Assyriologie) الذي كان موضوعه الحضارة الآشورية و وثائقها و سجلاتها ليشمل فيما بعد كل الإنجازات التي عرفتها بلاد الرافدين. أما الدراسات السابقة لموضوعنا فإننا غالبا ما نجد موضوع الحياة العلمية والأدبية على شكل فصول ضمن المؤلفات المتعددة حول التاريخ القديم لبلاد الرافدين إلا أن هناك دراسات متخصصة تناولت بالتفصيل أهم الجوانب المتعلقة ببحثنا، نجد منها كتاب تاريخ العلم لجورج

سارتون الذي يتخصص في تاريخ العلم و هو يتميز بنظرة نقدية للعلوم لدى القدماء ليس عند الرافديين فحسب و إنما العلوم التي عرفها المصريون و الإغريق و البطالمة و الرومان و غيرهم.

هناك الكثير من الدراسات الحديثة التي تصدر سنوياً حول هذا الموضوع إلا أنه أمكننا الوصول إلى دراسة متخصصة لها علاقة بموضوعنا أنجزها الأستاذ عامر عبد الله الجميلي عنوانها: الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، خصصها لدراسة فئة الكتبة في بلاد الرافدين.

كما أن الأستاذ طه باقر قد خصص مؤلفا للآداب في العراق القديم عنوانه: مقدمة في أدب العراق القديم تناول فيه مختلف الجوانب المتعلقة بالأدب الرافدي بإسهاب، و له مؤلف آخر عنوانه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، تناول في جزئه الأول ما يتعلق بالعلوم في العراق القديم، وما يمكن الإشارة إليه في هذين المؤلفين اعتماد الأستاذ على كيثر مما ترجمه للأستاذ صامويل كرايمر الذي يعتبر من أعمدة المؤرخين في هذا الاختصاص، فهو يعمل في حقل ترجمة الألواح، و استعانا في بحثنا بكتاب له، على قدر كبير من الأهمية عنوانه من ألواح سومر، خاصة ما يورده في كتابه عن الكتبة و كذا الأدب. بالإضافة إلى هذا قد استعملت مراجع يعود اغلبها إلى نهاية القرن 19 و بداية القرن 20 ، حيث

تعتبر هذه الفترة فترة ازدهار ترجمة الألواح المكتشفة ، ومن بين هاته المراجع نجد كتاب ل "ويليام بودج" بعنوان Babylonian story of the deluge and the epic of Gilgamesh و الذي أورد فيه نصوص هامة مع ترجمتها تتعلق بملحمة كلكامش بالإضافة إلى ملاحق تتعلق بمحتويات مكتبة نينوى لعل أهمها النصوص المتعلقة بأشور بانيبال . كما خصص "كامبل تومبسون" كتابا على قدر كبير من أهمية ترجم فيه النصوص المتعلقة بالسحر و التنجيم في كل من بابل و نينوى عنوانه the reports of the MAGICIANS and ASTROLOGERS of NINEVEH and- BABYLON ، أما ما يتعلق بمكتبة نينوى فقد افرد "خواكيم مينان" الأثري الفرنسي كتابا فصل فيه قصة اكتشاف المكتبة ، و أورد تفاصيل هامة عن كيفية انتشائها و كذا محتوياتها .و قد عنون كتابه ب : la bibliothèque du palais de Ninive .

أثناء إنجاز هذا البحث صادفنا بعض العقبات التي تتعلق بالمضامين أحيانا و بوفرة المادة العلمية المتخصصة أحيانا أخرى، كما أن بعض المصطلحات التي تكتسي طابع الشمولية تجعلنا محرجين أحيانا نظرا لعدم تحديدها زمنيا كإطلاق صفة الأدب السومري على كل ما يتعلق بالآداب بحضارة وادي الرافدين، و ربما يتعلق هذا الإشكال بالجانب اللغوي المتمثل في العلاقة بين اللغة السومرية و نظيرتها الأكدية و البابلية و الآشورية.

و من جهة أخرى فإن أغلب مصادر دراستنا مستقاة مما ترجم من الألواح المكتشفة ببلاد الرافدين إلا أننا لم نصل مباشرة إلى كل المقالات و الأبحاث التي تحتوي ترجمات هاته النصوص، إلا أننا حاولنا الإحاطة بالموضوع من خلال ما توفر لدينا من مصادر ومراجع .

فصـــل تمهيدي

1- أهمية حضارة العراق القديم :

يعتبر تاريخ بلاد الرافدين جزءا هاما من تاريخ الإنسانية، كما تعتبر حضارة بلاد الرافدين هي أكثر الحضارات تأثيرا في تاريخ الشرق العربي، وفي تاريخ كل الحوض الشرقي للبحر المتوسط قبل العصر الهلنستي، وقد امتد تأثيرها إلى ما بعد ذلك من حيث المعتقدات والتقاليد ومن حيث التراث الأدبي و الحساب والتنجيم .

و حضارة وادي الرافدين هي إحدى الحضارات القديمة التي يطلق عليها مصطلح الحضارة الأصيلة أو الأصلية ، وهي الحضارات التي لم تشتق من حضارة سابقة لها بل نشأت وتطورت من ثقافات عصور ما قبل التاريخ ، و الحضارات الأصلية قليلة العدد في تاريخ الإنسان وفي مقدمتها حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل وحضارة الشرق الأقصى (الحضارة الصينية) و حضارة ألمايا و الأزتيك في أمريكا الوسطى و حضارة وادي نهر السند[1].

و أهم مرحلة مرت بها المجتمعات الإنسانية و التي يعبر عنها بداية التاريخ القديم تبدأ بالتسجيل و الكتابة و التوثيق و هي مرحلة بدأت في المشرق العربي في وادي الرافدين و وادي النيل و يمكن أن تعود إلى أواخر الألف الرابع أو أوائل الألف الثالث قبل الميلاد [2]، فبدءا من هذا الاختراع الفاصل في تاريخ الإنسانية يبدأ التاريخ القديم الذي نسلط الضوء من خلاله على

---

[1] - طه باقر، **مقدمة في أدب العراق القديم**، (ط1؛ دار الحرية للطباعة، 1976)،ص 10.

زاوية هامة تتعلق بتطور العلوم و الأدب في حضارة وادي الرافدين ، فحين نضجت الكتابة المسمارية وصارت وسيلة للتدوين شؤون الحياة المختلفة ، ظهرت الحضارة الناضجة بمختلف أوجهها ومقوماتها الأساسية مثل نظام الحكم و المدن و المعابد و تنظيم المجتمع بالقوانين [3].

لقد مرت حضارة بلاد الرافدين بعدة مراحل رئيسية تطورت خلالها ، و كان أقدم هذه المراحل التاريخية ما يسمى بعصر السلالات أو عصر دول المدن (2800-2370 ق م) حيث كان شكل الحكم السائد فيها على هيئة دول المدن ولم تتوحد تلك الدول المدن إلا في عصر سرجون الأكدي ، فانتقلت السلطة من يد السومريين الذين كانت بيدهم الزعامة السياسية والثقافية إلى الأكديين الذي كان سرجون موحد دولتهم .

وربما تميز العصر السومري ببسط سلطته على الأدب الرافدي فيما بعد وذلك من حيث الأسبقية من جهة ومن جهة أخرى أن أغلب الشخصيات و الأساطير و الملاحم هي شخصيات سومرية على غرار كلكامش. ومع أفول نجم الكوشيين الذين أدخلوا بلاد الرافدين في مرحلة مظلمة بين (2230-2120 ق م) ظهرت أسر حكمت بلاد الرافدين مثل سلالة لارسا (2025-1763 ق م) وسلالة إيسن (2017-1794 ق م) ومملكة إيشنونا (2000-1721 ق م) و أشور القديمة (2000-1760 ق م) وسلالة ماري (1850-1761 ق م) و اشتهرت من بينها سلالة بابل الأولى لا سيما ملكها السادس حمو رابي (1792-1750 ق م)[4] .

---

[2] - محمد حرب فرزات و عيد مرعي، **دول وحضارات في الشرق العربي القديم**، (ط2؛ دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق: 1994.)، ص 11.

[3] - طه باقر، المرجع السابق ص.14

[4] - المرجع نفسه ، ص16.

و ربما تتميز المرحلة الممتدة من بداية عهد حمورابي (1792-1750 ق. م) إلى غاية سقوط مدينة بابل (539ق. م) ببروز مقومات حياة أدبية و علمية بقيت مستمرة انطلاقا من جذورها في العصر السومري مرورا بالعهد البابلي القديم و الآشوري ثم الكلداني و لعل الخاصية التي تجعل من هذا الموضوع وحدة واحدة بغض النظر عن السلطة السياسية التي تحكم بلاد الرافدين هو الاستمرارية و التواصل اللذان يطبعان شتى العلوم و الآداب . و نظرا للأهمية التي تتميز بها دراسة العلوم و الآداب في حضارة بلاد الرافدين فإننا ارتأينا التركيز في هذا البحث على الزاوية التي تظهر أوج التفاعل بين نمو العقل و تطور العلوم مع ازدهار الحضارة و بسط سيطرتها و نفوذها السياسي .

و لعل ما يبرز خاصية التواصل في هذا الميدان هو الجانب اللغوي الذي أخذت فيه اللغة السومرية دور السيادة في الميدان العلمي في كثير من الجوانب كالأدب و الطب مثلا رغم أن البابليين و من بعدهم الآشوريين لم يدخروا جهدا في فرض لغاتهم بقواعدها و نشر تعليمها إلا أن القداسة كانت في كثير من الأحيان تستمد من الرموز السومرية .

لعبت أماكن التعلم دورها في إثراء الحياة الأدبية و العلمية في بلاد الرافدين حيث ارتبطت بالمعابد في العهد السومري و كانت شأنا دينيا ، إلا أنها فيما بعد و ابتدءا من العصر البابلي القديم بدأت تأخذ منحنى آخر خاصة بعد أن أصبح العلم و المعرفة من هوايات الملوك و لعل أبرز هؤلاء حمو رابي و أشوربانيبال .

لقد عرفت الفترة التي حددناها سالفا اهتماما كبيرا بالمدن من طرف الملوك فلم يكونوا شغوفين ببنائها و تزيينها و تحصينها و إنشاء المعابد و الزاقورات فيها فحسب بل عمل هؤلاء على أن تكون مدنهم عواصم علمية بأتم معنى الكلمة و جعلوا هذا الموضوع مسؤوليتهم الشخصية كما تفيد الألواح من نصوص و رسائل خاصة بهؤلاء الملوك .

و لعل أبرز المدن التي تميزت بهذا المجال مدينتي بابل و نينوى فربما كان التأثير السياسي الذي منح هاتين المدينتين كل في فترة أوج القوة التي تجعل منها محج طلاب العلم و ممتهنيه بل امتدت سيطرة المدينتين إلى كل ما هو موجود من علوم ومعارف في محيطها و ذلك طبقا لرغبة الملوك من خلال بناء المكتبات بجمع كل ما له علاقة بالعلوم و الأدب .

لقد برزت نتيجة هذه العملية خزائن للكتب في بلاد الرافدين في بابل و نينوى و ما حولهما من مدن مثل بورسيبا و نفر و نيبور ، فكانت هذه الخزائن تعبر بحق عن وجود حياة أدبية وعلمية عاشتها بلاد الرافدين خلال كل أطوارها .

عندما يكون موضوع التاريخ دراسة منجزات الإنسان في ميدان الأدبي و العلمي فإن هذا النوع من الدراسات يتطلب تكوين نظرة عن حياة البشر و تطورهم الحضاري و هذه العملية ليست بالسهولة بمكان لأن المؤرخ يجد نفسه أمام مسؤولية كبيرة تدفعه إلى الدقة و التحفظ الشديد حتى لا يقع في التفسير الذاتي للتاريخ أو على الأقل بأن لا يكون مثل بعض الدارسين الأوربيين الذين يميلون إلى الرفع من مستوى

الإغريقيين دون غيرهم ،أو أولئك الذين يستهينون بدور الهيلينيين لينسبوا كل خير إلى الشرق .[5]

2-المصادر الكتابية :

إن تقدم العلم في عصرنا الحالي و خاصة منه علم الآثار من حيث طرق البحث والأدوات و كذا مناهج البحث اللغوي و قراءة النصوص قد ساعدنا في جمع المعلومات وتوثيقها مما عزز عملية البحث في التاريخ القديم و حضارته ، لهذا أخذت مصادر هذا البحث طابعا مميزا خاصة إذا علمنا أن المصادر الكتابية لم تسلط الضوء على أغلب جوانب موضوع الحياة العلمية و الأدبية سواء فيما صاغه اللاهوتيون و التوراتيون أو ما كتبه الإغريق القدامى .

لطالما ألهمت بلاد الشرق المؤرخين القدامى و الإغريق منهم على وجه الخصوص كونها كانت مسرحا لأغلب الأحداث التي عرفها العالم القديم آنذاك ، بل في كثير من الأحيان طرفا فاعلا فيه في حوض البحر الأبيض المتوسط إلا أنه من الناحية الزمنية لم تعاصر كثير من هذه الكتابات الفترات المزدهرة و التي نتناول جانبا منها في بحثنا و لعل أشهر الذين كتبوا من الإغريق نجد هيرودوت الذي زار بلاد الرافدين 450 ق .م و أورد ذكرها في كتابه الأول في معرض حديثه عن حروب كورش ملك الإخميديين الفرس .

---

[5]- محمد حرب فرزات و عيد مرعي، المرجع السابق ، ص 12.

فقد أورد أوصافا عن مدينة بابل و مدينة نينوى و أعطى أوصافا للبابليين و بعض عوائدهم .[6] أشار إلى جوانب لها علاقة بالطب لم تعطي الوجه الحقيقي للمستوى الذي وصل إليه الرافديون في هذا المجال و يعتبر ديودور الذي عاصر سترابون من الذين كتبوا عن بلاد الرافدين وقد استند في معلوماته إلى اكتازياس و هو طبيب إغريقي أقام في بلاط الملوك الإخميديين و كان من موقعه أكثر دراية ببلاد فارس و بلاد بابل و قد أسهب في حديثه عن الملكة سميراميس و مملكة أشور .[7]

و من هذا المنطلق كانت أخبار المسافرين القدماء منهم و المعاصرين على حد ساء و كتابات المؤرخين الإغريق و كتاب التوراة مصادر المعلومات الوحيدة عن بلاد الرافدين حتى منتصف القرن التاسع عشر .[8]

لقد حقق الباحثون في تاريخ الشرق الأدنى القديم صورة جديدة للماضي البعيد لم يكن يعرفها أبناء القرن الماضي و ذلك بفضل الجهود التي بذلت من أجل التعرف على الحضارات القديمة بعد قراءة الخطوط المسمارية التي كتبت بها هذه اللغات . و لعل الفضل يعود إلى ما كتب عن المنطقة و زاد من أهميتها ما كتبه الكتاب الإغريق و العرب و التوراة ، حيث لم تنل بابل شهرتها في ذلك الوقت إلا من خلال تلك الكتابات.

3-الرحلات ، و البعثات الأثرية

---

[6] - سليم طه التكريتي ، **العراق في تاريخ هيرودوت**، مجلة المورد ، مجلد 8 ، العدد (3) ، ، (دار الجاحظ 1979:بغداد)، ص13.

[7] - مارغريت روتن**: تاريخ بابل**، تر. زينة عازار و ميشال أبي فاضل، (ط2؛ منشورات عويدات، لبنان: 1975) ، ص16.

[8] - المرجع نفسه، ص 9 .

لقد لعبت الرحلات و البعثات الأثرية الدور الرئيس في الكشف عن مخلفات حضارة وادي الرافدين و لعل ما خلفته الكتابات السابقة عن المصادر الكتابية كان له الأثر العميق في تشجيع أعمال البحث و التنقيب و كانت التوراة مصدر إلهام الكثير من الرحالة الذين زاروا المنطقة . وأول من زار المنطقة من الرحالة الأوربيين إبان العصور الوسطى التاجر اليهودي بينجامين ياراجونا الذي زار المنطقة في القرن الثاني عشر .و قد أثار إنتباهه[9] آثار نينوى و بابل عندما زار الموصل و كان يعتبرها المدينة الكبيرة في فارس ، دمرت و بنيت فوق أنقاذها العديد من القرى والتجمعات السكانية و عندما اتجه إلى بابل ذكر أن بقاياها الأثرية تغطي مسافة ثلاثة أميال .و قد وصفها على النحو التالي : ((بابل هي اليوم مهدمة بكاملها و لا تزال خرائب قصر نبوخذنصر باقية فيها و يصعب الوصول إليها بسبب الأفاعي و الأبالسة ...)) .[10]

فقد كانت خرائب قصر نبوخذنصر كما وصفها مصدر للرعب و الخوف من الثعابين والعقارب التي تسكن هذه الخرائب إلا أنه بعد ترجمة كتابه إلى الإنجليزية و الفرنسية أصبحت نينوى و بابل مصدر اهتمام العلماء و بحثهم .

و من الذين زاروا بلاد النهرين و كان لهم أثر في زيادة اهتمام الأوربيين بالحضارة العراقية القديمة النبيل الإيطالي بيترو ديلافالي الذي زار بابل عام 1616 م ثم قام بزيارة أور 1626 م ولقد أرسل لأول مرة نسخ من الكتابة المسمارية التي عثر عليها

---

[9] - أسامة الجوهري ، **الآثار العراقية** ، (ط1؛ هلا للنشر و التوزيع،عمان: 2006).ص53

[10] - مارغريت روتن، المرجع السابق ، ص16 .

في بيرسبوليس إلى أوربا كما أخذ معه بعض اللوحات المكتوبة بالخط المسماري التي عثر عليها في بابل .[11]

لقد لاحظ بيترو ديلافالي في زيارته لبابل الغموض الذي يطغى على خرائبها و بدأ يقارن قطع الآجر محاولا إثبات وصف بناء برج بابل الذي أشار أليه سترابون و الذي ورد ذكره في التوراة و تمكن أيضا من التعرف على الخرائب التي وصفها هيرودوت .[12]

أرسل ملك الدنمارك بعثة إلى الشرق سنة 1761 تكونت من خمسة أعضاء برئاسة نيبور (نارسين نيبور) تمكنت البعثة من نسخ نقوش جديدة من بورسبوليس عام 1778 م و لاحظ أنها مكتوبة بثلاثة أشكال مختلفة من الكتابة المسمارية .و استنتج أن كل نقش منها يتناول موضوعا واحد كرر ثلاثة مرات ليمثل الأقسام الثلاثة الرئيسية في الإمبراطورية الفارسية و هي فارس وعيلام و بابل .و أثارت هذه النقوش اهتمام العلماء اللغات فبذلوا جهدهم في محاولة تفسيرها .

و بدأت أولى أعمال الحفائر المنظمة على يد الأب جوزيف دي بوشان الممثل العام للبابا في بغداد في الفترة من 1780 م – 1790 م . و قام بزيارتين طويلتين لبابل و نشر تقاريره عامي 1785 م و 1790 م في مجلة جوانا دي ساقان . و قد خلقت اهتماما متزايدا بالحضارة العراقية القديمة و على ذلك فعند نهاية القرن الثامن عشر كانت هناك الكثير من النقوش المسمارية المجلوبة من نينوى و بابل متاحة أمام الباحثين في أوربا . و كانت الخطوط الحاسمة في فك رموز الكتابة

---

[11] - أسامة الجوهري، المرجع السابق ، ص53.

[12] – مارغريت روتن ، المرجع السابق ، ص17 .

المسمارية جزئيا في بداية القرن التاسع عشر على يد العالم الألماني جروتغند و من أشهر من قاموا بجمع الآثار و اللقبات و استنساخ المخطوطات الفلكي و الراهب الفرنسي جوزيف دي بوشان سنة 1786 م [13]. و كلوديوس جيمس ريش الذي أشتهر منذ صغره بنبوغه في اللغات العبرية والعربية و الآرمية و الفارسية و بذلك أصبح مقيم شركة الهند الشرقية في بغداد 1807 م كما أنه زار بابل سنة 1811 م و كتب مذكرات عن خراب بابل بينما رحلته إلى نينوى فهي مسجلة في قصة (الإقامة في خورس أباد) و ندين لهذا الرجل بالخطط الأولى الدقيقة لبابل و نينوى .[14] وبالإضافة إلى ذلك هناك رحالة منقبون زاروا المنطقة أمثال السير جيمس باكنجهام 1816 م ، روبيرت مينان 1827م ، جيمس بيلي فريزر 1834م، و أعظم هؤلاء السير هنري كروزديدك رولينسون الضابط و المستكشف و الفارس و عالم اللغة ، ولد عام 1810م و توفي سنة 1895م ، نشر عدة كتب عن مدونات حجر بهستون .[15]

ويعتبر الرائد الفعلي في حقل التنقيب القنصل الفرنسي في الموصل بول إميل بوتا ، وذلك ابتداء من سنة 1842م عندما كان يستكشف تل قوينجيق احد التلال الموجودة بموقع نينوى ، إلا إن انتباهه قد تحول سنة 1843م إلى تل خورسباد الذي يقع بضعة أميال من شمال الموصل حيث تمكن هناك من الكشف عن

---

[13] - اسامة الجوهري، المرجع السابق، ص54..

[14] - - PERCY S.P.HANDCOCK,**Mesopotamian Archeology**,(Macmilan and CO.LTD., AND PHILLIP .LONDON),p40

[15] - اسامة الجوهري، المرجع السابق ، ص54.

مدينة دور شاروكين التي أشادها سرجون في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد[16] .

وإذا كان أول من نقب في تل قوينجيق بنينوى بول بوتا القنصل الفرنسي بين سنتي 1842-1845م. فان الموضع قد كشف من قبل السير هنري لايارد يتراسل مع بوتا الذي أمده بأوصاف ومخططات ذلك الموضع و قد ساعده أيضا المنقب العراقي هرمز رسام و الأثري سميث في إماطة اللثام عن بقايا قصر آشوربانيبال و مكتبته العظيمة فيما بين 1845 إلى 1851 م[17].

وفي عام 1850م كان لايارد يوصل أعمال التنقيب في تل قوينجيق فاكتشف غرفتين صغيرتين من بقايا قصر فخم، وكانت الغرفتين مليئة بكسر مبعثرة من أختام طينية مفخورة، تبدوا وكأنها قطع من الآجر منقوشة بالكتابات وقد تراكمت على الأرض بارتفاع قدم واحد أو أكثر، وكان بعض القطع سالما من الكسر في حين أن معظم القطع الأخرى قد أصبحت شظايا صغيرة و لعل ذلك كان ناجما عن انهيار القسم العلوي من البناية . و كانت هذه القطع بأحجام مختلفة أكبرها ألواح مسطحة بمقياس6.5×9 أنش و أصغرها محدبة بعض الشيء لا يتجاوز طولها الإنش الواحد ، وقد نقش عليها سطر أو سطران من كتابات مسمارية واضحة الحدود و المعالم . وكانت بعض هذه

---

[16] - PERCY S.P.HANDCOCK,**Mesopotamian Archeology,** op cit , p41 .

[17] E.A.WILLIS BUDGE, **Babylonian story of the deluge and the epic of Gilgamesh**,(BRITISH3-MESEUM,1920),p01.

الكتابات دقيقة جدا بحيث يصعب تمييزها بدون استعمال عدسة مكبرة[18] .

و يبدوا أن آشوربانيبال نقل الكثير من هذه الألواح من قصر أبيه أسرحدون ومن سائر البلاد المعروفة، حتى لقد غصت المكتبة بالألواح و قد وجد منها أكثر من 25000 لوح مع عدد يسير من أوراق البردي حفظ اغلبها في المتحف البريطاني و متحف اللوفر الفرنسي [19].

أما بالنسبة للألواح التي سبق الإشارة إليها فلم تكن أول الألواح المكتشفة من طرف لايارد. ففي سنة 1849م شاهد لايارد بعض الألواح قبل شروعه في التنقيب في منطقة نمرود ببضعة أعوام وظنها حين ذاك نوعا من الفخار الغريب المزين بالنقوش و الزخارف فاخذ قسما منها و عاد إلى بلاده، وعرضها على الدكتور بيرك الذي كان يعمل في المتحف البريطاني، فاخبره بان هذه وثائق حقيقية و بتعبير آخر كتب آشورية و حينئذ تذكر لايارد بأنه قد رمى بعدد من هذه الآثار باعتبارها نفايات لا نفع فيها فبعث برسالة إلى كريستان رسام أخ هرمز رسام الذي كان يشغل وظيفة نائب القنصل البريطاني في الموصل و طلب إليه أن يجمع كل ما يمكنه من هذه القطع من الفخار (الفخار الغريب) و يحفظها في سلل حتى عودته إلى الموصل، و لكن الطلب جاء متأخراً بالنسبة للقطع المطلوب جمعها في منطقة نمرود حيث سبق أن القي بها فوق أكوام الأتربة المستخرجة من

---

[18] - أي رويستين بايك، **قصة الآثار الآشورية**، تر: يوسف داوود عبد القادر و مراجعة لطفي الخوري، (مطبعة أسعد، بغداد: 1972)،ص121..

[19] - فؤاد يوسف قزاجي، " **مكتبة آشوربانيبال** "، مجلة آداب المستنصرية، عدد 3 (بغداد: 1987)، ص 305.

الأرض عند التنقيب و خـذها المواطنـون لاسـتعمالها في تسـميد حقولهم.

أما بالنسبة لمنطقة قوينجيق فقد تم جمع كميات كبيرة من الألـواح بعد ان اتضح مواصـفات النـوع المطلـوب منها فأرسـلت بصــورة تدريجية إلى انجلــترا لتأخذ مكانها في مخــازن المتحف البريطــاني ولكن لســوء الحظ لم يتم رزم هــذه القطع بشــكل يؤمن صيانتها، فتعـرض معظمها إلى الكسر وأصـبحت شـظايا لا فائدة ترتجى منها ومع هذا فان مجموعة القطع الـتي أخـذت من موقع نينــوى يزيد عن عشــرين ألف قطعــة. وقد اتضح فيما بعد بـان هـذه الغـرف الـتي كـان ينقب فيها لايـارد هي مكتبة الملك المعــروف باســم(ابن أســرحدون) حيث لم يكن آشــوربانيبال معروفا آنذاك [20].

و بعد عشرة أعوام من هاته التنقيبات جاءت بعثة فرانل-اوبيرت و بدأ أول استكشاف علمي لبابل على رأس بعثة علمية فرنسية ترأسها فرانل و يساعده جول اوبيرت و كان أول انجاز لهذه البعثة هو الكشف عن أسد بابل و إعادته لموقعه ، وقد تبع هذه البعثة تنقيبات قام بها كولديوي في نهاية 1899م بتشجيع من الجمعية الشرقية الألمانية التي أقامت في بابل حتى سنة 1917م ، و كشفت هذه السنوات الثماني عشر على القليل من الآثار و لكن هذه التنقيبات جعلت إعادة كتابة تاريخ بابل و الحياة فيها أمرا ممكنا[21] .

4- فك رموز الكتابة المسمارية :

---

[20] - أي روستن بايك ، المرجع السابق، ص 121.

[21] - مارغريت روتن، المرجع السابق ، ص 26.

وبالنسبة لكيفية توصل العلماء إلى قراءة الكتابة المسمارية فيمكن أن نوجزه في الدور الكبير الذي لعبه (السير هنري رولنصن) في هذا المجال. و ذلك عندما كان في بعثة إلى بلاد فارس أين وجد نقوشا بإحدى الصخور في (بهستون) التي تبعد حوالي اثني عشر ميلا غرب (كرمنشاه) للغات هي البابلية و الفارسية القديمة و السوسية (العيلامية)، و ينتصب إلى جانب تلك الصخرة تمثال ضخم ورد ذكره في بعض قصص الرحالين بأشكال غريبة تبين فيما بعد انه تمثال الملك الذي أمر بوضع هذا النصب مع الكتابة المدونة على الصخرة و ذلك في عام 516 قبل الميلاد. و قد توصل إلى معرفة ثلاث أسماء للشخصيات الملكية و هم (داريوس) و (هستاسب) و (وكسر) و تلك أولى الخطوات المهمة التي تلتها خطوات أخرى[22] .حيث تمكن في العام 1847 م من أن يقوم بترجمة كاملة للنص الفارس مع وضع شروح و ملاحظات نحوية و أبجدية كاملة ، و بعد ذلك تمكن من ترجمة النصوص الأخرى بمساعدة عدد من العلماء الآخرين .

لقد كانت تلك التراجم تمثل اجتهاد هؤلاء العلماء على الأقل، بيد أن الشكوك التي أثيرت حول صحتها استدعت فحصها و تدقيقها، ففي عام 1856م اقترح (فوكس تالبوث) (الذي اشتهر بكونه أول رائد عمل في حقل اختراع التصوير الفوتوغرافي) أن تقوم الجمعية الآسيوية الملكية بدعوة ثلاثة أو أربعة من علماء المسماريات ليقوم كل واحد منهم على انفراد بترجمة مقطع طويل من الكتابات الآشورية و أن توضع كل ترجمة في ظرف مختوم و ترسل إلى سكرتير الجمعية، و اقترح كذلك أن تؤلف

---

[22] - أي روستن بايك، المرجع السابق، ص 122.

لجنة تتـولى فتح هـذه الأظـرف و مقارنة الـتراجم مع بعضـها و إعلان النتيجة، وان تتم جميع هذه الإجراءات في جو من العلنية.و كانت الكتابات التي اختيرت لهذا الغرض هي المواد المدونة على منشور من الطين المفخـور يعـود إلى الملك (تكلات بلاصـر) و الـــذي ســـبق أن اكتشف في مدينة أشـــور، وتم تكليف كل من (فـــوكس تـــالبوث) و(رولنصن) و (ادوارد هنكس) و (جي. أوبرت) للقيام بترجمة هذه المدونة، حيث أرسل كل واحد منهم ترجمته بغلاف مختـــوم إلى الجمعية الآســـيوية الملكيـــة، وبعد مقارنتها وجـدت متفقة مع بعضـها اتفاقـاُ تامـاُ بحيث لم يعد ثمة شك بان علماء الآشوريات يفهمون ما يقرءونه فهماً تاماً.[23]

ومن خلال ما أسفرت عنه نتائج هـذا الجهد العلمي في ميـدان علم الآثار أمكن إعادة بناء تاريخ بلاد الرافدين على أسس جديدة ، تم من خلالها فتح صـفحات جديـدة عن تـاريخ المنطقـة، خاصة وأنها كشـفت النقـاب عن الجـوانب الأخـرى من حيـاة الإنسـان الرافــدي و منها ما بتعلق بإســهام هــؤلاء في ميــدان العلــوم و الآداب التي هي موضوع درسنا .

[23] - المرجع نفسه، ص 123.

الفصل الأول:
الإطار التاريخي و
الجغرافي لبابل و نينوى

1- الاطار الجغرافي لبلاد الرافدين:

يطلق على المنطقة الممتدة في آسيا الغربية و شمال شرقي إفريقيا بين إيران شرقا ووادي النيل وليبية غربا إسم عام مبهم هو (الشرق الأدنى) و هو ما يطابق تقريبا إصطلاح (الشرق الأوسط) والشائع في أيامنا ، إلا أن المؤرخين الأنكلو-ساكسون يميلون إلى مد مدلول هذا الإصطلاح الأخير إلى حدود العالم الهندي .

و في هذا الشرق الذي يشكل مشرقنا العربي أهم رقعة فيه ، وحدات جغرافية تاريخية : الأناضول في آسيا الصغرى و أورارتو حول بحيرة وان و ميدية جنوبي بحر قزوين و فارس في جنوب إيران ، و تمتد بلاد الرافدين في الشمال الشرقي من بلاد العرب من جبال كردستان شمالاً إلى الخليج العربي .[24] **(أنظر الملحق رقم (01) ص148)**

و قد أتى المصطلح الأوربي (Mesopotamia) من المصطلح الجغرافي اليوناني القديم (Mesopotamios) و يترجمونه ببلاد ما بين النهرين –دجلة و الفرات- و هي ترجمة أمينة، لولا أنه ينبغي أن يقدر أن مواطن الحضارة العراقية القديمة لم تقتصر على ما بين النهرين و إنما إمتدت إلى ما حولها أيضاً ، بل إن

[24] - محمد حرب فرزات و عيد مرعي: **دول وحضارات في الشرق العربي القديم**، (ط2؛ دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق: 1994.)، ص19

طائفة من أقدم المواطن الأثرية مثل العبيد و أور قامت غرب الفرات و ليس فيما بينه و بين الدجلة ، كما قامت إشنونا (تل أسمر) و نوزى شرق دجلة و ليس فيما بينه و بين الفرات . و قد فطن بعض الكتاب الإغريق أنفسهم إلى قصور لفظ ميزوبوتاميا ، فأضافوا إليه برابوتاميا (Parapotamia) ، أي خارج النهرين أو ما حولهما .[25]

و يحدد " Marc Van de Mieroop " الشرق الأدنى بالمنطقة الممتدة من الساحل الإيجي بتركيا إلى وسط إيران، ومن شمال الأناضول إلى البحر الأحمر، في حين بلاد ما بين النهرين حسب رأييه تمثل المنطقة بين نهري الفرات و الدجلة .[26]كما يطابق باحث آخر إسم بلاد الرافدين و الإسم الحديث للعراق الذي يشكل مع سوريا القديمة و وادي النيل ما دعاه " بريستد " الهلال الخصيب.[27]

و إذا أردنا وضع الخريطة فإننا نجد ان المؤرخ جورج رو يصف هذه المنطقة بالمثلث الذي مساحته حوالي 240000 كلم^2 محدود بخطوط وهمية تمر بالألبو بحيرة أورميا و خليج شط

---

[25] - عبد العزيز صالح: **الشرق الأدنى القديم**، (ط2؛ الأنجلومصرية، القاهرة: 1990.)، ص 567.

[26] - Marc Van de Mieroop. **A history of the ancient near east ca. 3000 – 323 BC**. (Blackwell publishing, 2004), p 01.

[27] - محمد حرب فرزات و عيد مرعي، المرجع السابق، ص 20.

العرب ، ويرى بأن الحدود السياسية الحديثة تقسم هذا المثلث بين سوريا و العراق اللذان يشغلان أكبر قسم منه و الباقي جزء من إيران وتركيا .[28] **(أنظر الملحق رقم (05) ص152)**

إذن فالمصطلح على وجه العموم يدل بصورة عامة على المنطقة المعروفة بإسم العراق حالياً ، بالإضافة إلى الجزيرة السورية ، لكن الوضع الجغرافي – التاريخي لم يكن هكذا في مراحل تاريخية أقدم ، فمن المعروف أن أوضح إستعمال لتسمية(mesopotamios) هو الذي ورد عند المؤرخ الكلاسيكي " بوليبيوس (polybius)202 ق.م " على الرغم من إحتمال إستعمال المصطلح قبله ، وتبع الجغرافي "سترابون 64 ق.م – 19م " بوليبيوس في إستعمال هذا المصطلح لإطلاقه على ذلك الجزء من العراق المحصور ما بين دجلة و الفرات من الشمال إلى حدود بغداد تقريباً .[29]

و وسط هذا النطاق الجغرافي الفيسح تقع مدينتين كان لهما شأن عظيم في التاريخ القديم هما بابل ونينوى ، حيث مثلتا عاصمتين لإمبراطوريتين كبيرتين البابلية و نظيرتها الآشورية . و إنطلاقاً من هذا نحاول وضع إطار جغرافي لكل منهما، مع تحديد الإطار التاريخي الذي يتناسب مع موضوعنا.

---

[28] - Georges Roux. **La Mésopotamie** édition du Seuil,(France 1995.), p 2

[29] - Strabon,**Géographie de Strabon** , trad. P . Amedee,Tradieu, Hachette et , 1880-II,XVI,P316.

2- مدينة بابل:

تقع مدينة بابل على بعد نحو 90 كيلومتراً جنوب بغداد. و قبل أن تصل السيارة إلى الحلة في طريق الحلة-بغداد و قبيل الوصول إلى التل العالي المعروف ببابل يقطع سور المدينة الخارجي .[30] فبابل اليوم مدينة كبيرة تغطي مساحة فسيحة تتخللها التلال المتشابكة و التجاويف، و هي تمتد لمسافة ثلاثة أميال تقريباً على الضفة الشرقية لنهر الفرات على بعد حوالي سبعين ميلاً جنوبي بغداد، و بالقرب من بابل تقع مدينة الحلة الحديثة التي بنيت جزئياً بطوب قديم من بابل و يوجد في نطاق خرائبها ما يقارب من خمسة تلال رئيسية لا يزال يحمل أقصاها شمالاً إسم بابل . و هذه التلال تغطي المباني الرئيسية للمدينة القديمة . [31]

فرغم الجهود الألمانية المكثفة لم ينقب خلال خمسة عشر سنة إلا بجزء منها يعود إلى العصر البابلي الحديث، لأن مستوى سطح المياه الجوفية لا يسمح بالحفر أكثر من أدوار ذلك العصر ، وتعتبر بابل القديمة مدينة كبيرة في آسيا ببلاد ما بين النهرين وسط الحوض الجنوبي لنهري الدجلة و الفرات ، و كانت

---

[30] - طه باقر: **بابل و بورسيبا**، (ط1؛ مطبعة الحكومة، بغداد: 1959)، ص02.
[31] - ل. كوتريل: **الموسوعة الأثرية العالمية،** تر. محمد عبد القادر محمد و زكي إسكندر، (ط2؛ الهيئة المصرية للكتاب، 1997)، ص 187.

مساحتها حوالي عشرة ملايين متر مربع و يقرب محيطها من 16.5 كيلومتراً، كانت مربعة الخط حيث إمتدت زمن نبوخذ نصر الثاني لتضم منطقة واسعة أخرى على جانب الفرات الغربي ليصبح المربع متوازي مستطيلات .[32]

و الإسم السومري للمدينة هو الصيغة المألوفة " كادانكيرا" أما الإسم البابلي السامي " باب إيلو" أو " باب إيلي" فهو ترجمة للصيغة السومرية و معنى الإسم باب الإله.[33]

إن لموقع بابل أهمية كبيرة إن من الناحية العسكرية أو الإقتصادية ذلك أنها قائمة على ضفة الفرات اليسرى ، ذلك الطريق النهري الحيوي الإستراتيجي و تشكل نقطة إتصال بين بلاد الرافدين و سوريا و البحر المتوسط .[34] وكانت تتصل من جهة أخرى بفضل ذلك الطريق بآسيا الصغرى و بلاد فارس و تشرف على الطريق التي توصل إلى كرمنشاه عبر جبال الزاغروس.[35] كما أن لموقعها الملائم عند تقاطع طرق القوافل و الأنهار أدى إلى تحويلها إلى مركز تجاري كبير وتزايد عدد سكانها من جراء تدفق الأموريين القادمين من سوريا .

---

[32] - سامي سعيد الأحمد: **دراسات في تاريخ العراق و حضارته**، (بغداد: 1988)، ج1، ص 153.

[33] - طه باقر: **بابل و بورسيبا**، ص 02.

[34] - عبد الحكيم الذنون**: الذاكرة الأولى**، (ط2؛ دار المعرفة، 1993)، ص 93.

[35] - مارغريت روتن**: تاريخ بابل**، تر. زينة عازار و ميشال أبي فاضل، (ط2؛ منشورات عويدات، لبنان: 1975.)، ص 27.

و كانت بابل في عهد نبوخذنصر الثاني تقع على الشاطئ الأيسر من النهر يحيط بها السور الخارجي الذي يمكن مشاهدة بعض أجزائه إلى الشمال من قصر نبوخذنصر الصيفي بقليل حيث يقطعه طريق بغداد الحلة . و يستمر السور الخارجي في جهة الشمال غرباً إلى النهر . يمتد السور الخارجي قرب الزاوية الشمالية الشرقية من ذلك العصر بإتجاه جنوبي شرقي مسافة أربعة كيلومترات تقريباً، ثم ينعطف بزاوية قائمة تقريباً و يسير غرباً إلى جهة النهر.[36]

لقد باتت بابل من خير المدن المحصنة في العراق القديم ، إذ بنيت على ضفة الفرات اليسرى الذي يشكل لها حصناً منيعاً من الغرب في أقرب نقطة يفصله فيها عن نهر الدجلة الذي كان يقيها من جهة الشرق[37]، كما أنها كانت محاطة بسورين ، سور خارجي و آخر داخلي ، أما السور الخارجي فيتألف من ثلاثة جدران ، و إعتباراً من الداخل يأتي أول هذه الجدران و هو مشيد باللبن و ثخنه (7) أمتار . و أمام هذا الجدار على مسافة (12) متراً يأتي الجدار الثاني المشيد من الطابوق ثخنه (20/7) متراً و يلي هذا الجدار جدار ثالث من الطابوق* ثخنه (30/3) متراً، و

---

[36] - طه باقر: المرجع السابق، ص 03.
[37] - مارغريت روتن، المرجع السابق، ص 27.
*- الطابوق أو الطاباق : وهي كلمة فارسية الأصل تعني الآجر الكبير

كان هذا بمثابة سد أو حد للخندق المحيط بسور المدينة . و تضمن الجدار الأول أبراجاً ضخمة (و كان عرض كل برج 37/8 متراً) حيث تبرز من جانبه الخارجي و الداخلي، و بين كل برج و برج (50/55 متراً)ـ أما السور الداخلي فيتألف من ثلاثة أجزاء ، الجزء الشمالي و الشرقي و الجنوبي و قوامه جداران من اللبن أحدهما يوازي الآخر، و يفصل ما بينهما مسافة سبعة أمتار و هما يؤلفان الإستحكامات الداخلية.[38]حيث كان السور الخارجي يدعى (نيمتر إنليل) محيطه 18 إلى 20 كيلومتراً يحيط بالقصر الصيفي من الشمال ، و كان السور الداخلي يدعى (إمكور إنليل).[39]

أما الشوارع فقد كانت المدينة الداخلية (المحصورة في السور الداخلي) ذات شوارع فخمة مستقيمة منتظمة تتقاطع بزوايا قائمة تقريباً ، و كان بعضها بموازاة النهر و ينتهي بعضها الآخر في أبواب المدينة البرونزية في سور المدينة.[40]

و قد أشار هيرودوت إلى هذه المعلومات في وصفه لمدينة بابل : " ... تحتوي بلاد أشور العديد من المدن الكبيرة و لكن بابل أشهرها و أعظمها ، فهناك كان ملوك البلدان يتخذون مقر

---

[38] - طه باقر: **بابل و بورسيبا**، ص 04.
[39] - سامي سعيد الأحمد، **دراسات في تاريخ العراق و حضارته**،ج1، ص 153.
[40] - طه باقر: المرجع السابق، ص 04.

إقامتهم منذ تحطيم نينوى . وتقوم مدينة بابل في سهل فسيح في شكل مربع ، كل ضلع من أضلاعه طوله مائة و عشرين فرسخاً (ثلاث أميال لكل فرسخ) لذلك يقدر محيطها بأربعمئة و ثمانين فرسخاً ، إنها كبيرة جداً حيث أننالم نرى مدينة يمكن أن نقارنها بها ..." [41].

و بذلك يكون هيرودوت قد إعتبر بابل المدينة الأقوى و الأشهر بعد سقوط نينوى و هو يبين ذلك من خلال وصفه شكلها و أبعادها ، كما وصف هيرودوت الخندق السالف الذكر و حدد به محيطها إذ إعتبره يحيط بها من كل جانب و أنه يتصف بالعمق و هو مليء بالماء ، كما تكلم عن أحد روافد نهر الفرات الذي يدعى إزو الذي يبعد عن بابل قرابة ثمانية أيام، حيث كان البابليون يستعملونه في جلب القار المستخدم في بناء سور بابل، و مما تتميز به بابل البوابات التي قدرها هيرودوت بمئة، عرفت منها ثمانية خلال الحفريات، يبدأ من كل واحدة منها شارع سمي عادة بإسم إله معين يقع معبده على مقربة من البوابة .

و قد ذكرت النصوص المسمارية أسماء أربعة و خمسين شارعاً و شارعين لمسيرة الجند وثلاث جسور للعبور إلى ضفة

[41] - Hérodote**, Histoires**, trad.p.Giguet, Paris, 1860, I, CIXXVIII, p 69.

الأراختو ، و كل بوابة تتألف من بناية واسعة داخل حصن بارز ، وتتكون على جانبيه غرف للحراسة و من بوابات بابل بوابة عشتار و هي باب المدينة الشمالي الغربي ذات مدخل مزدوج يقطع جداري سور بابل ، و من الجهة الشمالية هناك بوابة سين (بوابة الملك والبوابة العظيمة).[42]

و تمثلت أهم عمائر بابل الكلدانية في قصور نبوخذ نصر و زقورة " أم.تمن.آنكي" أو برج بابل كما سماه الرواة العبرانيون و الإغريق و المسلمون ، و حدائق المدرجات التي إشتهرت بإسم الحدائق المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع في العالم القديم .[43]

أما بالنسبة للقصور فإننا نجد السور الداخلي ، بعد باب عشتار مباشرة يفصل بينهما قصرين فخمين من قصور نبوخذ نصر ، يدعى أحدهما القصر الجنوبي، و الثاني مما يلي باب عشتار شمالاً و يدعى القصر الرئيسي ، و الواقع أن هذين القصرين يشكلان قصراً مضاعفاً ، و يوجد قصر ثالث من قصور نبوخذ نصر يقع إلى أقصى الشمال من المدينة بمسافة قريبة

---

[42] - سامي سعيد الأحمد، **دراسات في تاريخ العراق و حضارته**، ج1، ص 154.
[43] - عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم**، ص 834.

من السور الخارجي ، ويعرف الآن بإسم بابل، وكان يدعى القصر الصيفي .[44] **(انظر الملحق رقم : 03 ص150)**

و قد توسط قصر نبوخذنصر الجدار الشمالي للمدينة ، و بني داخل حصن كبير على عادة القصور الملكية في بلده ، و تألف من وحدات معمارية كثيرة ، و تضمن عدة افنية و أحاطت به ملحقاته التي يحتمل أنه كان منها بعض إدارات الدولة، و تميزت فيه قاعة عرشه التي بلغت مساحتها (52×17 متراً) عن قاعات العروش الآشورية ببساطة طابعها، و على جوانب صالة العرش و على واجهة المدخل المؤدي الى الساحة الكبيرة كانت ثمة زينة من الآجر المزخرف بنوعيه الازرق و الاصفر[45].

و في الزاوية الشمالية من القصر الجنوبي وجد المنقبون بقايا بناء غريب يتالف من اربع عشرة حجرة متشابهة في شكلها و حجمها،كل سبعة منها على جانب من ممر أو رواق ويحيط بها جدار قوي ثخين . و هناك ممر واسع يؤدي الى هذه الحجرات المعقودة من الساحة الثانية للقصر وقد وجد المنقبون في احدى الحجرات بئرا تختلف عما هو مألوف من انواع الآبار بها ثلاث حفر بعضها بجانب بعض، فسرت بأنها الجنائن المعلقة التي

---

[44] - طه باقر: **بابل و بورسيبا،** ص 05.
[45] - مارغريت روتن، **تاريخ بابل**، ص 99.

عدت من عجائب الدنيا السبع التي وصفها غير واحد من الكتاب اليونان و الرومان[46].

و قد اختلفت الروايات حول هذه الجنائن الا انها تتفق بأن في أعلى البناء المقبي جنينه مغروسة بالاشجار و يروي سترابون[47] بانها كانت تقع في القلعة و هذا ما يحدد المكان بناء على نتائج الابحاث .فقد وجدت البعثة الالمانية في الزاوية الشمالية الشرقية من القلعة التي تجاور باب عشتار بقايا من بناء يتطابق مع وصف الجنائن المعلقة

اما زقورة "ام.تمن.آنكي " او برج بابل فقد بدا تجديدها في عهد نابو بلاصر مؤسس الاسرة الكلدانية و اكدت نصوص هذا الرجل و مناظره انه استفتى وحي الأرباب في تخطيطها القديم و اشترك معه ولديه في وضع اسسها ،فحمل ادوات البناء فوق راسه و حما ولي عهده طين اللبنة الاولى ،و رفع ولده الاخر (نوبا شوم ليشو) معولا و مجرفة .

و خدمت الزقورة معبد مردوخ اساسا و اربعة معابد اخرى كبيرة او نحوها.ووصف هيرودوت هذه الزاقورة ابان اكتمالها وصفا شائقا،ثم وصفت رحلة من القرن الثالث قبل الميلاد ما بقي منها على ايامنا،كما احتفظت لهل اجيال الرواة العبرانيون و

---

[46] - طه باقر، **بابل و بورسيبا** ، ص 06.

[47] - Strabon,**Géographie de Strabon** , trad. P . Amedee,Tradieu, Hachette et , 1880,II,XVI,P.300.

المسلمون بصورة اسطورية غالية،اما من ناحية الواقع فلم يبقى منها ما ينم عنها حتى الان غير خطوطها الارضية و اطلال ثلاثة درجات تؤدي الى سطحها الاول من ناحية الجنوب،و ترتب على ذلك ان تعددت النظريات المعمارية في تصور هيئتها الاولى[48]. و قدجاء في سفر التكوين (الفصل11،الاصحاح من1-9) ان بناء برج بابل يعزى الى سلالة نوح فقد كان يدور في خلد بناته ان يوصلوه الى السماء و لكن الاله السرمدي فرق الالسنة ليمنعهم من تحقيق امنياتهم و شتتهم بعدئذ في مغارب الارض و مشارقها.

و قد بحث جميع المسافرين عن برج بابل و غالبا ما خلطوه بانقاض الطوابق في بير-نمورد بورصيبا القديمة،الذي كان اقليم للاله نابو،ابن الاله مردوخ.و قد حصل الاختلاط هذا منذ ايام هيرودوت ،فقد لا تكون اوصاف الكتاب القدماء اوصافا يركن اليها الا بالنسبة لهذا او لتلك[49].

لم تكن هذه الاوصاف لبابل عبر كافة العهود و انما تدل على المكانة التي وصلت اليها في عهودها المتأخرة ايام الدولة الكلدانية.على ان بابل لم تكن ذات شأن سياسي خطير في تاريخ العراق القديم إلا منذ قيام سلالتها الاولى (1880-1580

[48] - عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم**، ص835- 836.
[49] - مارغريت روتن، **تاريخ بابل**، ص 113- 114.

ق.م) التي اشتهرت بملكها السادس حمورابي حيث اصبحت عاصمة الامبراطورية التي اسسها.و مما يدل على اهميتها انها ظلت عاصمة للبلاد حتى العهد السلوقي[50].

يعود الفضل الى الأسرة الاموية في بدء عصر جديد من اعمار بابل،حيث في ظل حكم ملكها الثالث سابيوم (1844-1831 ق.م) ثم تشييد معبد للاله المحلي في منطقة بابل مردوخ. و عندما صعد سين مبلط والد حمورابي العرش كانت قد اختفت الاصول المتواضعة للمدينة واضحت بابل مركز حكم قوي و لها السيطرة على مدن سيبار و كيش و بورسيبا و على اراض واسعة حولها.الا ان حمورابي ورث العرش عن ابيه و تولاه بجدارة[51].

و كان حمو رابي اعظم ملوك سلالته ،فبعد ان سيطر على جميع مدن بابل الكبرى،وطد الوحدة السياسية للبلاد و لكي يؤمن الاستقرار للمملكة الجديدة مد فتوحاته حتى الفرات الاوسط حيث اخضع مدينة ماري و عدة مدن اخرى تقع وراء نهر دجلة،و بالاضافة الى كونه فاتحا ناجحا كان حمورابي اداريا بارزا ايضا،فقد حقق النمو الاقتصادي للبلاد،كما حقق انتصار اللغة و الالهة البابلية و صار مردوخ هو الاله القومي لمدينة بابل و اله

---

[50] - طه باقر: **بابل و بورسيبا**، ص 02.

[51] - محمد حرب فرزات و عيد مرعي، **دول حضارات في الشرق العربي القديم**، ص 138.

الشعب،و قد جاءت رفعة هذا الإله على يد حمورابي بتاثير من كهنة بابل ، و أصبح هذا الإله يقدم في إحتفالات رأس السنة.[52] فسيطرت تعاليمه على افكار شعوب ما بين النهرين خلال الفترات اللاحقة من تاريخ آسيا القديم و اثر كهنته على الاوضاع الداخلية في اعظم امبراطوريات الشرق القديم[53].

لقد عرفت بابل في ايام حمورابي اول عصر ذهبي من عصور تاريخها الطويل.فقد حل اسم بلاد بابل محل (سومر و اكاد). و انتهى دور سومر السياسي نهائيا و لكنها بقيت شعلة تضئ موكب الحضارة و طريقة في التفكير و اسلوبا في الحياة اليومية و التقاليد[54] .كما ازدهرت في هذا العهد حركة بناء الهياكل و تطورت الحياة القضائية التي ارتبطت بالحياة الدينية ، و نضج الانتاج الفكري حيث ألفت الملاحم و وضعت الاشعار و غيرها من النصوص الادبية او تم ترجمتها من السومرية على الصعيد الادبي،كما اهتم البابليون بالعلوم الطبية كالفلك و الطب و الصيدلة و الحساب و الهندسة، و اسسوا المدارس لتعليم الاطفال اصول الكتابة و تثقيفهم في الدين و العلوم[55].

---

[52] -p174 MYRIAM PHILIBERT, **Ditionaire des mythologies**,(, Maxi-livres, France;2002),

[53] - توفيق سليمان، **دراسات في حضارات غرب آسيا**، (ط1؛ دمشق: 1985)، ص 248.

[54] - محمد حرب فرزات و عيد مرعي، **دول و حضارات في الشرق العربي القديم**، ص 139.

[55] -? توفيق سليمان ، **دراسات في حضارات غرب آسيا** ، ص 249.

رغم هذا التطور الذي وصلت اليه بابل على عهد حمورابي الا ان قوتها انهارت تدريجيا ففرضت بلاد اشور سيطرتها عليها، فقد ضعفت السلطة المركزية التي فرضها حمورابي على الاقاليم من بعده و تعرض النظام الاجتماعي لازمات نتيجة التناقضات بين الاحرار و العبيد و الخلافات القائمة بين مختلف فئات الاحرار[56].

و في هذه الفترة التارخية هاجم الكاشيون الدولة البابلية و هم اقوام يعيشون في جبال زاغروس الوسطى، و انشاء غنداش اشهر حكامهم اسرة حاكمة في بابل ، و هكذا سيطر الكاشيون على معظم بلاد الرافدين معتمدين على كتابتهم الخاصة و على حلفائهم من كهنة بابل و خاصة كهنة المدينة المقدسة نيبور و دامت سيطرتهم الى حوالي عام 1165 قبل الميلاد. و قد اطلق الكاشيون على انفسهم القاب للملك حمورابي (ملك بابل،ملك سومر و اكاد،ملك الاتجاهات الاربعة)[57].

لقدعلا نجم آشور اثر الحملة التي شنها الملوك العيلاميين على بابل ،و منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد و حتى سنة 612 قبل الميلاد قام البابليون بجهود بائسة للتخلص من التسلط

---

[56] - برهان الدين دلو: **حضارة مصر و العراق**، (ط1؛ دار الفارابي، بيروت: 1989)، ص 226.

[57] - نفس المرجع، ص 227.

الآشوري الرهيب لكن آشور سيطرت على آسيا القديمة خلال كل تلك الفترة ، اما بابل التي لم تهدأ بها الثورات فقد تحالفت مع اعداء الاشوريين[58].

و لم تنعم بلاد ما بين النهرين عامة و بابل خاصة بالهدوء و الاستقرار اذ عمت الفوضى والحروب ارجاءها و لفترة طويلة[59] ، و امام الغزوات المتتابعة على بابل سقطت هذه الاخيرة امام جيش سنحاريب في عام 689 قبل الميلاد و اصبحت بهذ اقليما من اقاليم الامبراطورية الآشورية[60] . و صرح سنحاريب في كتاباته: "لقد كان وقعي عليها اسوأ من وقع الطوفان "[61].

لكنه عندما أغتيل على يد اولاده ، وقع اسرحدون الذي خلفه و هو ابن كاهنة بابلية اسير شهرة مردوخ، فرفع بابل من تحت انقاضها. و اننا لنجد في نقوش سنحاريب عن خراب بابل ، وكتابات اسرحدون ابنه عن ترميم العاصمة، وثائق عظيمة الأهميه تتجلى فيها العقلية البابلية بشكل فريدـ و يروي سنحاريب أن: " البابليون نصَّبوا (عبداً) على العرش و انهم فتحوا كنز الإيساجيل هيكل مردوخ و أخذوا منه ذهب و فضة الإله

---

[58] - مارغريت روتن، **تاريخ بابل** ، ص 37.

[59] - أبو المحاسن عصفور: **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم**، (دار النهضة العربية، بيروت: 1987)، ص 371.

[60] - إج. أيل. ملرش: **قصة الحضارة في سومر و بابل**، تر. عطا بكر(مطبعة الإرشاد، بغداد:1971)، ص 09.

[61] - مارغريت روتن، **تاريخ بابل**، ص 38.

و زوجته ليقدموه لملك عيلام..."، فسلَّط عليها مردوخ الطوفان على حد تعبيره. و عندما أصبح أسرحدون ملكاً قرر ترميمها بعد أن سأل آلهة الوحي فأعلن بأن غضب الإله مردوخ قد وقع [62].

و لم يمض وقت طويل على هذه الحوادث حتى دبَّ الضعف في بلاد آشور و قدم الميديون وحطموا عاصمة الآشوريين نينوى سنة 612 ق.م ، وإستولى الزعيم الكلداني المدعوا نابوبلاصر على مقاليد الحكم في بابل سنة 626 ق.م ، كان يومئذ حاكماً على بابل لذا يعتبر مؤسساً للدولة البابلية الكلدانية [63].

يمتد العصر البابلي الثاني أو العصر الكلداني من (609-539 ق.م) ، و يرتبط هذا العصر بأكثر عصور تاريخ بلاد الرافدين إزدهاراً و غناً و عمراناً وهو عصر نبوخذنصر(604-562 ق.م). حيث أصبحت بابل عاصمة بلاد الرافدين ، فبعد سقوط الإمبراطورية الآشورية سيطر البابليون على بلاد الرافدين كلها . على الرغم مما خلفه العاهل من آثار و نقوش فإن كثيراً من الغموض لازال يحيط بفترة حكمه. وأغلب النقوش الكتابية هي نقوش تذكارية لتخليد الأعمال الإنشائية و العمرانية التي تمت في أيامه في بابل. و لكن هذه الوثائق تطلعنا على فعاليته السياسية، حتى أن ما ذكر في نقش وادي بريصا على الساحل

---

[62]- نفس المرجع، ص38- 39

[63] -. عبد الحكيم الذنون، **الذاكرة الأولى**، ص 136.

اللبناني لا يعدو أن يكون ذكراً لبعض الإنجازات العسكرية بصورة موجزة . و يسرد أحد النصوص أخبار الحملات التي تمت في السنوات العشر الأولى من حكمه لكن أخبار الأحداث التي وقعت بعدئذٍ لم نتمكن من الإطلاع عليها إلا من خلال بعض الوثائق الجزئية أو المروية أو من مصادر غير بابلية كالمرويات و التنبؤات التي وردت في سفر أرميا.[64]

لقد اهتم نبوخذنصر بتعمير بابل و تجميلها و تجديد شبابها مستعينا في ذلك بالفنون التي انحدرت اليه،و بالمواد الاولية التي استطاع ان يستجلبها من مصادرها الرئيسية و قد ساعده على تحقيق مشاريعه العمرانية ما حصل عليه من الغنائم و الجزي و الكثير من اسرى الحرب[65]. فقد حشد كل الجهود لكري الاقنية المهملة و ترميمها و لاعادة تعمير المدن و المعابد المخربة.و اخذت بابل و بلاد الرافدين عامة تعود الى فعاليتها السابقة، و اخذت الدولة تعود الى مكانتها بجانب المعابد التي احتفظت بدورها الريادي في تنظيم الفعاليات الاجتماعية و الاقتصادية، و تدل النقوش المكتشفة على ان الملك قدّم منحاٍ سخية لاعادة العمران الى المدن القديمة :أور، أوروك، لارسا،

---

[64] - محمد حرب فرزات و عيد مرعي، **دول و حضارات في الشرق العربي القديم**، ص 201.

[65] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 247.

دلبات،كيش،كوثى، بورسيبا،.. و لكن بابل حظيت بالنصيب الاوفى من الرعاية الملكية[66].

لقد كان نبوخذنصر من أشّد المولعين بالتنجيم،و لهذا نجد أن بابل في هذه الفترة قد تحولت الى عاصمة لعلوم الفلك و العلوم الاخرى، فقد ادخل العلماء الكلدانيون تحسينات على العلوم الفلكية و غيرها. و بعد وفاته تولى العرش في بابل ملوك ضعاف لم يهتموا بشؤن الامبراطورية .و كان الكهنة قد ثاروا على ولد نبوخذنصر بعد مضي عامين من حكمه، و نشبت اضطرابات في بابل نتيجة الصراع الذي دار بين الكهنة و الامراء العسكريين ففي عام 555 قبل الميلاد عين الكهنة نابونير ملكا، و قد قدم هذا الاخير الآراميين في الحكم و الادارة و غزا سورية ثم حارب أمير واحة تيماء و استولى عليها ، في حين كانت إيران تشهد نشأة إمبراطورية فارسية قوية استطاع ملكها كورش أن يخضع خلال فترة قصيرة من الزمن بلادا أكبر من مدينة فارس. و إحتل مملكة ميديا وألحقها بفارس ثم أخضع آسيا الصغرى ليمدّ حدود إمبراطوريته الى الشرق والشمال الشرقي ،وتفرغ للمملكة الكلدانية بعد أن حاصرها من كل جانب و وجه اليها قواته ودخل بابل دون مقاومة سنة 539 قبل الميلاد و كان ذلك

---

[66] - محمد حرب فرزات و عيد مرعي، **دول و حضارات في الشرق العربي القديم** ، ص 204.

مبيتا مع بعض القادة العسكريين والكهنة الكلدانيين المتواطئين مع الفرس[67].

و قد إستمرت بابل في حوزة الفرس،الذين أجروا بعض المحاولات لاحياء مجدها، و من بعدهم الإسكندر حاول أن يجعلها مركزا لإمبراطوريته ،و بعد وفاته أهملت و تحولت إلى أطلال[68].

3- مدينة نينوى:

تعتبر نينوى ثالث عواصم الإمبراطورية الآشورية التي خلفت العاصمة القديمة "اشور"، و العاصمة الثانية "كالح" المعروفة بنمرود. و تقع أطلال نينوى على مسافة كيلومتر من الموصل ثاني أكبر مدن العراق حاليا، و إسم هذه المدينة سومري الأصل كما قد سماه الآشوريون (ني ـنـ أ) (NI-NU-A)، و قد ورد إسم المدينة في الكتابات القديمة بالصيغة الرمزية (نينا) و(ننواء) و وردت في بعض المصادر العربية (نينوى)[69].

و تعتبر نينوى اليوم مجموعة خرائب ليس بها إلا بضع مساكن لأن معظم أهلها قد هجروها عبر نهر الفرات إلى الموصل مدينة العصور الوسطى، و تتكون أطلالها من تلين رئيسيين:قوينجيق

---

[67]-? برهان الدين دلو ، **حضارة مصر و العراق** ، ص 49.

[68] - حلمي إسماعيل محروس: **الشرق العربي و حضارته**، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية: 1997)، ص98.

[69] - عبد الحكيم الذنون، **الذاكرة الأولى**، ص 131.

في الشمال الغربي و يحتوي القصور الملكية و المعابد، و تل النبي يونس في الجنوب الشرقي و هي ربوة أصغر كثيراً،كانت بها مخازن الملوك الآشوريين و لكن يسيطر عليها الجامع الذي يدّعى أنه يحتوي جسد النبي يونس ، و قد حالت قداسته دون التنقيب في هذا الموقع[70].

لقد أثبتت الحفريات قدم نينوى حيث وجد في الطبقة المعروفة بنينوى الأولى و الثانية فخاراً يرجع إلى عصر حسونة من بداية الألف السادس قبل الميلاد و آثار عدة قصور لعصور لاحقة (سومرية،اكادية، و بابلية قديمة ...) ، و ذلك إستناداً إلى علماء الآثار الذين إستدلوا بالتنقيبات في خرائب هذه المدينة خلال الفترة 1927-1932م[71].

و لم تكتشف كل ربوة قوينجيق لإتساعها، و لكن الصورة العامة للمنطقة التي تشغلها هي قيام قصر سنحاريب في جنوبها الغربي، و قصر اشور بانيبال في شمالها و قد أُكتشفت كلاهما في أوسط القرن التاسع عشر، و قدر لايارد مسافة الجدران المنقوشة المكتشفة من قصر سنحاريب حتى عام 1853م نحو عشة آلاف قدم، و إن كان أغلبها قد تهدم في

---

[70] - الموسوعة الأثرية العالمية، ص 404.
[71] - عبد الحكيم الذنون، **الذاكرة الأولى** ، ص 132.

العصور القديمة و نقل بعض ما تبقى منها إلى حوزة المتحف البريطاني[72].

تذكر التوراة أن مدينة نينوى كانت كبيرة جداً و بلغت من الإتساع بحيث أن إجتيازها من أحد جوانبها إلى الجانب الآخر يتطلب مسيرة ثلاثة أيام، و يرى بعض النقاد بأن هذا القول مبالغ فيه جداً و ان هذه القصة كتبت بعد أن أصبحت المدينة في عالم الأساطير، و لكن هذه الرواية لا يمكن إعتبارها على ما يبدوا ضربا من المبالغة، فكما هو شأن المدن الكبيرة الأخرى في عصرنا الراهن فإن اسوار نينوى قد أحاطت منطقة واسعة من البساتين و المزارع التي تنتج شتى المحاصيل، و لعل الكتابات القديمة التي وصفت نينوى بأنها واسعة جداًكانوا يعلمون جيداً بأن نينوى تعني المنطقة المثلثة من(دور شاروكين) خورسباد شمالا إلى كالح (نمرود)جنوبا و تؤلف مسافة تقرب ستة و عشرين ميلا،و قد أظهرت جميع التنقيبات الأثرية بصورة واضحة جميع أرجاء هذا المثلث المقلوب الذي يقع رأسه في ملتقى نهر الدجلة مع رافده على الزاب الأعلى[73].

ونقتبس من ديودور وصفا لنينوى اورده في معرض حديثة عن تاسيس المدينة من قبل نينيوس : "

---

[72] - عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم**، ص 804.
[73] - عبد الحكيم الذنون، **الذاكرة الأولى** ، ص 132.

بدا يخطط لبناء مدينة كبيرة جدا اضخم من المدن الاخرى في العالم المعروفة (في ذلك الوقت) .

فقد حشد على حافة الفرات العمال و الادوات من اجل بناء مدينة محصنة و اعطاها شكلا رباعيا مستطيلا ، الجهة الاطول من حواف المينة حوالي 150 فرسخا و الجهة الاقصر حوالي 90 فرسخا ، وعلى كل حال مجمل الصور المحيط بها هو 448 فرسخا ، جدرانها على ارتفاع مئة قدم و هي عريضة بحيث تسمح بان تسير فوقها ثلاث عربات ، اما حصون الدفاع فهي اكثر من 115 حصنا و كل منها على ارتفاع 200 قدم ، و الجزء الاكبر من المدينة يسكنه الاغنياء ، في حين ان الملك سمح للاجانب الذين يريدون الاستقرار بها ، وقدسمى هذه المدينة بنينوى "[74]

كانت مدينة نينوى على هيئة شبه منحرف محاطة من الخارج بسور يليه خندق كبير، و كان للمدينة من الجهة الشرقية سور خارجي من اللبن يليه خندق يمتد من الشمال إلى الجنوب. و محيط السور الخارجي حوالي 12كيلومترا و هو متفاوت في العرض بين 15 إلى 45 مترا كما كان نهر الخوصر يخترق نينوى، وكان طول الجهة الشرقية خمس كيلومترات تخترقه ستة

[74] - DIODOR DE SICILE , TRAD.P.Fed.Hoefer (Adolphe Delahays,libraire, Paris: 1851), I,II, P. 115.

بوابات هي (سنحاريب، خيلزي، شمش، و هي كبرى الأبواب، انليل، مشلات شبانيا، و خلاجي) و طول السور الشمالي كيلومترين و فيه ثلاثة أبواب هي من الشرق إلى الغرب (أدد، نركال، و سين)، أما السور الغربي الذي يسير على طول دجلة فطوله أربعة كيلومترات و مائة متر ،و يتضمن خمس بوابات هي (ماشكي المسقي،كارى المنساة ، ايكال، مشراتي بوابة السلام ، و خندوري) و طول السور الجنوبي 800 متر تخترقه باب واحدة هي باب أشور. و في داخل المدينة مواضع سكن و ثكنات جنود و منشآت أخرى و تركزت القصور في تلي قوينجيق و النبي يونس اللذان يفصل بينهما نهر الخوصر[75].

وعلى مقربة من قصر اشوربانيبال كان قصر سنحاريب ، فهو من قام بترميم نينوى و سماها المدينة الملكية ، و بنى بها قصر إقامته حيث يذكر بأنه شغّل 36 الف رجلا أغلبهم من الاسرى خلال عمليات الترميم و التوسعة ، وفي خلال سنتين تم انهاء الاشغال وتحولت بذلك نينوى " رائعة كالشمس" [76]. **(انظر الملحق رقم 04 ص151)**

---

[75] - سامي سعيد الأحمد، **دراسات في تاريخ العراق و حضارته**، ج1، ص 160.

[76] - E.H.GILLET, **Ancient cities and empires**,(pres by Terian Board of publication - Philadelphia), p66.

و كانت نينوى محاطة بخندق من ثلاث جهات الشمالية و الشرقية و الجنوبية، حيث كان دجلى يحميها من الغرب و كان الماء يصل إلى هذه الخنادق من مشروع سنحاريب الإروائي.

و كانت بوابات الأسوار ضخمة و تشكل وسائل دفاعية مهمة. فبوابة شمش تحوي أبراجا وشرفات، و ضمت بوابة أدد قاعة للحراس يتصل بها سلم و كان إرتفاع بوابة نركال 21.5مترا و طول واجهتها 20.7مترا مع برجين جانبيين.كانت بوابة المسقى تشرف على دجلة و فيها أربعة أبراج إثنان شمال المدخل و إثنان جنوبه و المسافة بين كل برجين حوالي 12.5مترا و عرض مدخل البوابة 5.8 مترا و شيدت واجهتها فوق مسطبة حجرية مواجهة لدجلة و يتوسط بوابة شمش مدخل عرضه 4.55 مترا و في واجهتها برجان عرض كل منهما 750 مترا و يتصل المدخل الشرقي للبوابة بالغربي بممر طوله 61 مترا مرصوفا بالحجر إلى جانبه ثلاث أزواج من غرف للحراس و خزن للاسلحة[77].

بعد تحديد المدينة جغرافياً و وصف أهم معالمها يمكننا الأن أن نعرج على أهم المراحل التاريخية التي مرّت بها المدينة خاصة الفترة التي تحولت فيها نينوى إلى عاصمة للامبراطورية الآشورية. فقد لعبت نينوى دور العاصمة منذ القرن الثامن عشر

[77] - سامي سعيد الأحمد **دراسات في تاريخ العراق و حضارته**، ج1، ص 161.

قبل الميلاد فيما يعاصر عهد حمورابي،و تجدد حظها في العصر الاشوري الحديث خلال القرن السابع قبل الميلاد، و في عهد سنحاريب واشوربانيبال بوجه خاص. حيث بلغ محيط سورها نحو عشرة اميال، و تضمن ما لا يقل عن خمسة عشرة بوابة، و لا تزال أطلال معالم مشروع القنوات و الحدائق باقية فيها منذ عهد سنحاريب، و قد ذكرت نصوصه أن رجاله زرعوا له فيها شجيرات القطن التي سموها شجيرات الصوف[78].

و لم تعرف نينوى كعاصمة سياسية إلاّ خلال عهد الإمبراطورية الآشورية الثانية 745-612 ق.م التي أسسها تجلات فلاسر الثالث ، و لم تتخذ نينوى كعاصمة إلاّ في عهد سارجون الثاني (722-805ق.م)، لقد إتخذ هذا الملك لنفسه إسم سرجون (شارو-كين) تشبها بإسم سرجون الآكادي و قد تعززت في عهده الدولة عسكريا عندما إنتهج نهج فلاسر الثالث[79]. و من الأعمال العمرانية التي قام بها تشييد قصر خاص به في عام 771ق.م، في مدينته الخاصة التي أطلق عليها إسم "دور-شاروكين" أي حصن سرجون و تبعد خمسة عشرة ميلا إلى الشمال الشرقي من مدينة نينوى. وقد اتم إنجاز هذه المدينة

---

[78]- عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم**، ص 804.
[79] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق**، ص 239.

خلال عشر سنوات إلا أنه قتل بعد ذالك مباشرة ، ليتخذ خلفاؤه من نينوى عاصمة لهم [80].

خلف سانحريب (705-681 ق.م) والده سارجون ،فقد ورث العرش عن والده في اليوم 12 من شهر جويلية سنة 705 ق.م حسب الليمو (Pahir-bel) وأغتيل في ديسمبر سنة 681ق.م حسب الليمو (Nabu-ahi-essis)[81]. ولم يسكن دور شاروكين بل تركها إلى نينوى التي أصبحت من جديد عاصمت الإمبراطورية الاشورية ، فقد جعلها هذا الملك عاصمة ملكه ، فجدد أبنيتها و جعلها فردوس الارض وحدائقها الغناء و مجاري المياه التي تمر بها[82] .

و واجه سنحاريب في بداية عهده خطرين ، من جانب بابل التي كانت تحاول الإستقلال مرة ثانية، ومن جهة ولايات سوريا و فلسطين . وقد تمكن سنحاريب من قمع حركات التمرد ، ثم تجددت الإنتفاظات في بابل بمساعدت العيلاميين ، و في سوريا وفلسطين بمساعدت مصر في أواخر عهده ، إلا أن النصر كان حليف سنحاريب حيث قام بتدمير بابل (مثلما أشرنا في ص 18 من الرسالة)، و في عام 681 ق.م ، قاد سنحاريب جيشاً كبيراً

---

[80] - حلمي محروس إسماعيل، **الشرق العربي و حضارته**، ص 92

[81] - George Smith, **History of Sennacherib**,(Harrison and Sons, London:) , p08.

[82] -. برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 241.

بإتجاه فلسطين حيث غزا المدن الساحلية ، ثم حاصر بيت المقدس ، و لكن وباءاً خطيراً تفشى بين قواته ، و وصلت أنباء بوقوع إضطرابات في عاصمة بلاده ، فإضطر إلى العودة إليها مع ما تبقى من جيشه ، و هناك لقي حتفه على يد أحد أبنائه الذي كان يطمع في تولي العرش[83].

لقد سجل مقتل سنحاريب إحدى أكبر الأزمات و أخطرها التي هزّت الإمبراطورية الآشورية ، إلا أن وريث العرش (أراد نينلل) (Arad Ninlil) و هو أسرحدون الذي سرعان ما سيطر على الوضع ، حيث عاد إلى نينوى لتولي العرش ، و كان أول ما قام به هذا الملك الجديد هو التكفير عما قام به سنحاريب و ذلك بإعادة بناء نينوى[84].

و بعد ذلك إعتزم اسرحدون العودة إلى مصر بسبب تدخلها في شؤن ولايات سوريا وفلسطين، و زحف بجيش كبير نحوها في سنة 671 ق.م ،و وصل إلى شرق الدلتا ،ثم دخل العاصمة ممفيس ،بعد أن خاض معارك عنيفة ضد قوات (طهرقا) ملك مصر و السودان الذي هرب إلى الجنوب . و لم يستمر الحال على ذلك طويلا ،فبعد سنتين من تلك الحملة ،عاد طهرقا من الجنوب و إستعاد ممفيس ، و أعلن العصيان على الآشوريين في

[83] - حلمي محروس إسماعيل، **الشرق العربي و حضارته**، ص 92.

[84] - Georges Roux**. La Mésopotamie**, op cit, P 369.

إقليم الدلتا. و على إثر ذلك قرر أسرحدون العودة إلى مصر لتأديب العصاة ، و لكنه أصيب بمرض في الطريق عندما وصل إلى حرّان، و توفي في سنة 668 ق.م [85].

و على خطى جده سانحريب إتّخذ أشوربانيبال من نينوى مركزاً لحكمه بعد أن ورث الحكم عن أبيه أسرحدون. فقد كان اشور بانيبال رابع ملوك الاسرة التي اسسها سرجون حوالي 721 ق.م على غرار واده اسرحدون و جده سنحاريب ، فقد تميزت فترة طويلة من حكمه بالجملات العسكرية من أجل المحافظة على امبراطوريته التي ورثها أو بالاحرى توسيعها [86]. و قد أفادت نينوى من حكم هذا الملك البارز في تاريخ الشرق الأدنى و الذي إستطاع أن يخضع الأقاليم الخارجية (مصر و الشام) و يقضي على الفوضى الداخلية (إخضاع بابل)[87] ، و كان اشور بانيبال قد بدأ عهده (668- 627 ق.م) ، بإخماد حركات التمرد في مصر التي بدأت في عهد أبيه . ولهذا الغرض جهّز اشوربانيبال جيوشاً ضخمة جمعها "إثنان و عشرون ملكاً من ساحل البحر ومن وسط البحر و من الأرض الرئيسية " ، و زحفت هذه الجيوش بإتجاه مصر ، و سحقت جيشا أعدّه طهرقا

---

[85] - حلمي محروس إسماعيل، **الشرق العربي و حضارته** ، ص 93.

[86] - Robert .J.LAU.M.A**, the ANNALE of ASHURBANAPAL**, (Late E.j. BRILL, LEIDEN: 1903), P 05.

[87] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق**، ص 241.

لصدها ، و أخذت تطارد طهرقا الذي هرب إلى طيبة في الجنوب ، و وصلت إلى طيبة و خربتها . (**انظر الخريطة في الملحق 05 ص 132**)

ثم عاد الآشوريون إلى بلادهم بعد وضع حاميات آشورية في المناطق المختلفة ،و فرضوا قدراً أكبر من الجزية على الأهالي . و في حوالي عام 655 ق.م ، أعلن بسماتيك الأول الإستقلال في دلتا النيل ، و طرد الحاميات الآشورية من مصر و تعقب فلولها حتى أشدود في فلسطين [88].

و في هذه الأثناء كان الجيش الآشوري منهمكا في الحرب ضد العيلاميين مما جعل آشوربانيبال يتخلّى عن مصر لإنقاذ بلاده . و بعد إنتهاء الحرب مع العيلاميين ، أعلنت بابل العصيان عندما إنقلب حاكمها شمش-شم-أوكن على أخيه سنة 651 ق.م ، معتقداً أن بابل تستحق أن تُهَيمن على العالم مثل نينوى عاصمة الآشوريين ، و تحالف مع الفينيقيين و الفلسطينيين و مملكة يهوذا و الكلدانيين ضد أخيه أشوربانيال[89]. و على إثر ذلك زحف أشوربانبال ضد أخيه في بابل، وإستمرت الحرب

---

[88] - حلمي محروس إسماعيل، **الشرق العربي و حضارته**، ص 94.

[89] - Georges Roux. **La Mésopotamie**, op cit, P 378.

بينهما لمدة ثلاث سنوات ، وإنتهت بهرب شمش-شم-أوكن بعد أن أحرق قصره[90].

لقد كان أشوربانيبال يناضل من أجل الدفاع عن حق أشور في العالم ، على إعتبار أنه يصارع قوى الفوضى و الشر ، و وورد ذلك في الآفاريز الحجرية ذات الرسوم الحجرية التي أمر بنحتها وإقامتها في قصر جده سنحاريب في نينوى ، أو في بنائه الخاص في قصر الشمال بنينوى أيضا، والشئ الأكيد هو أن أكثر الإنتصارات التي يسجلها آشوربانيبال لنفسه لم يحققها إلا على يد قواده الذين أحرزوها بأنفسهم ، بينما إقتصر عمله في الوطن على القيام بالمنجزات السلمية ، والمؤلفات العلمية و الفنية ، و لهذا يعتبر آخر ملوك الشرق الأدنى الذي تنبأ بالإنهيار الكلي ، فأمر بجمع مكتبة أوصلت إلى الأجيال القادمة على الأقل قسطا من الإنتاج الفكري لعالم الشرق الأدنى، و ها هو يحدثنا بذاته عن نفسه :" **لقد أهداني مردوخ، حكيم الآلهة، آذاناً صاغية،ونباهة متَّقدة لا حدود لها.كما أهداني نبو،كاتب الكون،حكمته، بينما أظفى علَّي كل من"نينورتا" و"نيركال" شخصية الرجولة وقوة منقطعت النظير. لقد أحطت بتنبؤات"آدبا" الحكيم،كما وإطلعت على**

---

[90]- حلمي محروس إسماعيل، **الشرق العربي و حضارته** ، ص 94.

كنز فن الكتابة المحجوب في بيوتات السماء والارض،وأنني احلُّ أعقد العمليات الحسابية ضرباً و قسمةً لقد قرأت الرُّقم الطينية ذات الكتابة السومرية التزينية،وكذلك الأكدية المظلمة (دلالة على تعقيدها **) ، التي يصعب فهمها. إنني أفهم النصوص الكتابية على الأحجار، التي تعود الى ما قبل عصر الطوفان..."**[91].

بالرغم من الإنتصارات التي حققها اشوربانيبال فإن الإمبراطورية الآشورية، وبعد إرهاق وإستنـزاف جيوشها، باتت في حالة من الضعف لم تحدث لها من قبل.حيث لم يستطع الآشوريون أن يسيطروا طويلاً على إمبراطوريتهم الواسعة ، بسبب سخط شعوبها عليهم ، وكثرة الثورات التي إندلعت ضدهم ، نتيجة سياسة التدمير التي إتبعوها بالإضافة إلى ضعف الروح العسكرية بين الجيوش الآشورية، على إثر إرهاقها في إخماد الثورات[92].

ويبدو أن اشوربانيبال قد أقدم مثل والده وجده،على تسمية،أحد صغار أبنائه سنا،خليفة له على العرش، فبعد موته اعتلى العرش ولمدة خمس سنين فقط، ملك إسمه اشور-إتيل-

---

[91] - أي رويستين بايك: **قصة الآثار الآشورية**، تر: يوسف داوود عبد القادر و مراجعة لطفي الخوري، (مطبعة أسعد، بغداد:1972)، ص 320.

[92] - حلمي محروس إسماعيل، **الشرق العربي و حضارته** ، ص 95.

أيلاني، الذي يدين بعرشه للمساعدة التي قدمها له قائد الجيش زن-شوم-ليشير، وعلى كل حال فقد حصل هذا القائد من الملك على أرض واسعة كهدية ، في حين نجد الملك يقيم في حصن كالح (نمرود) ، و في الوقت الذي إستطاع فيه هذا الملك الإحتفاظ بجنوب بلاد بابل، نجد قائد جيش كلداني هو نابوبلاصر ينتزع السلطة لنفسه في مدينة بابل ، وكذلك يتحول المديون للهجوم على المنطقة الآشورية [93].

و إذا إعتبرنا السيطرة على مصر كان آخر نجاح عسكري للآشورين ، على الرغم من أن أشوربانيبال قد ترك إمبراطورية مترامية الأطراف ، إلاّ أنه فارق الحياة و أجيج الثورة كان يعتمل في كل ركن من أركانها ، و كانت روح التمرد تغمر نفوس أبنائه ، لذا ما لبثت أن إنحلت نتيجت الأزمات الداخلية و إنتفاضات شعوب البلاد المغلوبة [94].

و بعد وفاة أشوربانيبال و ظهور الأمير الكلداني نابوبلاصر الذي أسس ببابل سلالة جديدة ، بدأ هذا الأخير يهاجم أشور من الجنوب . كما تأسست مملكة ميديا الفارسية في إيران ، و أخذ الميديون يهاجمون المملكة الآشورية من الشرق والشمال، وهكذا تحالف الميديون والكلدانيون. ففي سنة 612 قبل الميلاد.

---

[93] - أي رويستين بايك، **قصة الآثار الآشورية**، ص 322.

[94] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق**، ص244.

و تشير وثيقة بابلية تشير إلى دعوة نبوبلاصر لجيشه والتقدم إلى مكان يصعب معرفته على وجه التأكيد لتلف النص، حيث إلتقى العاهلان البابلي والميدي وعبرا سويتاً إلى ضفة دجلة اليسرى حيث تقع نينوى، وعسكرت جيوش الطرفين لمدة ثلاثة أشهر أمامها إبتداءا من شهر حزيران إلى شهر آب وشنت خلالها ثلاث هجمات،إلاّ أن الهجوم الأخير الذي وقع في شهر آب كان الهجوم الكاسح، والذي تم على إثره تخريب المدينة تخريبا شاملاً ونهب المهاجمون الغنائم من المدينة والمعبد[95].

وأحرق (سن شر أشكن) آخر ملوك آشور نفسه مع أقربائه في قصره ،كما دمرت مدينة نينوى و كالح تدميراً كاملا ، و هرب أحد الأمراء الآشوريين إلى حرَّان و جمع شتات الجيش الآشوري وسيطر على بعض المناطق الشمالية التي كان يسكنها الآشوريون ، أملاً في المحافظة على الدولة الآشورية بمساعدة مصر .

إلا أن القوات المتحالفة سرعان ما زحفت إلى حرَّان و قضت على فلول الجيش الآشوري وإستولت على المدينة سنة 609 ق.م ، فزال بذلك آخر معقل للآشوريين و سقطت دولتهم وزال الآشوريين من المسرح السياسي بعد ذلك الحين . و

[95] - حياة إبراهيم محمد: **نبوخذ نصر الثاني** 604-562 ق.م ، (المؤسسة العامة للآثار و التراث بغداد)، ص 49.

إقتسم الميديون و الكلدانيون تركة الآشوريين ، فحصل الكلدانيون على جنوب بلاد ما بين النهرين و قسم من شمالها، و أخذ الميديون الأجزاء الشمالية و الشمالية الشرقية[96] .

[96] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق**، ص 245.

الفصل الثاني:
تـــــراث الكـــتبة

لعل الاكتشاف العلمي و الإنتاج الأدبي مرتبط أساساً بالعقل الـذي يعتـبر المهنـدس الأول في هـذه العمليـة، إلا أنه لا يمكننا إغفـال نقطة أساسـية تتعلق بـأدوات هـذا العلم، فربما تكـون الكتابة ركنـاً أساسـياً من أركـان العلم أو هي إحـدى أهم أدواته خاصة في العصور القديمة.

و إذا كـان التطـور الحضـاري لـدى أمة من الأمم يقابله التقـدم العلمي و كثافة النشاط الفكري والأدبي، فكيف يكـون الحـال مع البابليين و الآشـوريين الـذين إلتمسـنا عنـدهم رقيـاً حضـارياً من خلال المرور على أهم المنجزات الحضارية بعواصـمهم ؟. وعلى أيّ حال لم يكن هؤلاء مكتشفي الكتابة بل أسلافهم السـومريين، لكن كان للكتابة و صنَّاعها عندهم شأن كبير، فالكَتَبَةُ الذين كـانوا يمثلـون طبقة من النخب الإجتماعية الـتي عاشت وسط أغلبية من الأمـيين ،كـانوا مجـبرين على الكتابة لهم و لأنفسـهم مما جعلهم يتحملون مسؤولية كبيرة في ذلك العصر.

وتكتسي هـذه المهنة أهمية خاصة في المجتمع الرافـدي بـالنظر إلى أدواتها و طريقة آداءها ، وفي نفس الـوقت تتمـيز الكتابة بخصوصية في بلاد الرافـدين عن غيرها من المنـاطق في العـالم القديم سواءاً من حيث الطريقة أو الوسائل.

و لهـذا نحـاول من خلال هـذا الفصل أن نتكلم عن فـترة تبلـور ونضوج الكتابة المسمارية في مراحلها الأولى، كما نحاول دراسة الدور الرائد الذي يلعبه الكاتب من حيث أنه صاحب مهنة عـرفت منذ القـديم، لها مكانتها و دورها على الصـعيد الاجتمـاعي و السياسي و الثقافي .

1- اكتشاف الكـتابـة و تطورها:

من بين أثمن الكنوز المكتشفة من طرف الرافديين و التي ورثناها، هي تلك الثورة العميقة في حياتنا التي أنجبت لبنا علمـاء هذا العصر فقد اكتشـفت في بلاد الرافـدين الكتابة حـوالي 3200 ق.م[97] وتعتـبر الكتابـة المسـمارية أهم أنمـاط الكتابة الـتي ظهـرت في هـذه المنطقة هي الكتابة المسـمارية و قد سـميت بالكتابة المسـمارية أو الخط المسـماري نسـبة إلى القلم الـذي يشـــبه المســـمار وهو مصـــنوع من المعـــدن و له شـــكل مثلث منشـوري،[98] فالكتابة المسـمارية تسـمى بالإنجليزية (cuneiform) (كونيفـــورم) و هي كلمة لاتينية الأصل تعـــني (الإســـفين*)، والواقع أن الخطوط المستعملة في هذه الكتابة تشبه (الأسافين) إلى حد كبـير كما كـان القلم المسـتعمل في الكتابة يصـنع من القصب أو قطعة خشب ذات حافة مســـطحة أو بقطعة عظم أو معدن وكـان الكـاتب يمسك القلم بيـده اليمـنى و يمسك لـوح الطين بكفه الأيسر ليقــوم بالكتابــة.[99] **(انظر الملحق رقم 06 ،ص 153)**

---

[97] - JEAN BOTTERO**, L'Orient ancien et nous**, (Albin Michel , Paris: 1996)

[98] - إسماعيل حلمي محروس، **الشرق العربي القديم و حضاراته** (مؤسسة شباب الإسكندرية، 1997)، ص 114.

*- **الإسفين** أو السفين : كلمة يونانية الأصل و تعني حديدة أو خشبة تستعمل لفلق الحطب وغيره .

[99] - أي روستن بايك، **قصة الآثار الآشورية**، ترجمة يوسف داود عبد القادر و مراجعة لطفي الخوري (مطبعة اسعد، بغداد: 1972)، ص 122.

فالكلمـات المـراد تـدوينها من وضـعيات محـددة لـرؤوس المسامير، تكون أفقية، عمودية، مائلة، أو مسـمار بهيئة رأس السهم.[100]

وتتكـون أدوات الكتابة في بلاد الرافـدين فضلا عن القلم أو المـرقم من مـادة الطين و هنا يمكننا أن نتسـاءل، لمـاذا كـان استعمال الطين عند الرافـديين أكـثر شـيوعا من وسـائل أخـرى كالبردي الذي اشتهر المصريون باستخدامه كمادة للكتابة ؟

إننا نجد أن النقوش المسمارية المكتوبة غالبها من النصوص التي حفظتها لنا ألواح الطين ذلك لأن السومريين استغلوا وجـود مورد هام من الطين في بلاد ما بين النهرين السـفلى، فـاخترعوا استعمال ألواح الطين للكتابة و وجـدوا انه من الممكن أن تنقش العلامـات نقشا سـريعا على الطين الطـري وأنّ هـذه العلامـات تثبت بجفاف الطين، وأنها تبقى ظاهرة و واضحة زمنا طويلا غـير محدود.[101] فالطِّين كان متوفرا ميسـورا و تهيئة الألـواح بسـيطة للغاية و أيسر بكثير من صنع ورق البردي، ثم أن ألـواح الطين لو تركت و شأنها تكون غـير قابلة للتلف حـتى لو ظلت غـير مجففة في الأفـران، مع العلم بـأن الاحـتراز على بعض الوثـائق الهامة و عـدم التلاعب بها تطلب وضـعها في غلاف من طين. و ما يمكن أن يلاحظ هو أن دوام ورق البردي لم يكن بسـبب مادته بقـدر ما هو بسبب جو مصر الجـاف، و لو أن الـبردي اسـتعمل في بلاد ما بين النهرين لما بقي منه شيء[102].

---

[100] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة** (ط2؛شركة التجارة و الطباعة المحدود،؛ بغداد: 1955)، ج1، ص 09.

[101] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ترجمة محمد خلف الله وآخرون (ط3؛ دار المعارف بمصر، القاهرة: 1976)، ج1، ص 154.

[102] - نفس المرجع، ص 158.

و مما يجدر الإشارة إليه هنا هو عدم إمكانية استعمال الكتاب في حالة استعمال مادة الطين إذ أن أصله (الكتـاب) لا يمكن أن يرجع إلى هذه الطريقة من التدوين التي أُتبعت في حضارة وادي الرافدين، و لعله يمكن حصر أصل الكتاب في تـأريخ الحضـارات البشرية في احتمالين:[103]

-**الاحتمـال الأول**: أن الكتـاب نشأ من اسـتعمال لفـاف ورق الـبردي الـذي اختصت في اسـتعماله حضـارة وادي النيـل، إذ المعروف مما جاء إلينا من هذا النوع من الورق أن لفاف الـبردي كانت تسـتوعب نصوصا مطولة من الكتابـة، و لعل مما يؤيد هـذا الاحتمـال تسـمية (الكتـاب) في اللغـات الأوربية و هي التسـمية المشتقة من الإغريقية (بيبليون) (biblion) و منها تسمية المكتبة (بيبليوتيك) (bibliotheca)، وهي كلمة مـأخوذة من اسم المدينة الفينيقية (بيبليـوس)(جبيـل) لأن الإغريق كـانوا يسـتوردون ورق البردي المصري عن طريق هذه المدينة.

- **الاحتمال الثاني**: و هو أن أصل نشوء الكتاب يرجع بالإضافة لورق البردي، إلى ما كان يستعمله الآشوريون من ألواح الخشب والعـاج الرقيقة و الكتابة عليها بعد طلي سـطوحها بالشـمع، و كـانوا يوصـلون جملة ألـواح منها بمفاصل من أسـلاك النحـاس فيكون لك لوح بمثابة صفحة كتاب و مجموعة الألواح بين دفـتين يؤلفا كتابا[104]. (**أنظر الملحق رقم 07، ص154)**

كما يرى الأستاذ جـورج سـارتون بـأن إخفـاق السـومريين في اخـتراع الكتـاب هو الـذي أدى بهم إلى العمل على إيجـاد دور السجلات وخزانـات الكتب و إنشـائها بسـرعة، مـع التسـليم بـأن

---

[103] - طه باقر: **مقدمة في أدب العراق القديم**، (ط1؛ دار الحرية للطباعة، 1976)، ص51.

[104]- المرجع نفسه، ص 51.

المعابد والقصور المصرية احتوت على مجـاميع من درج الـبردي فـإن الحاجة إلى المحافظة على ألـواح الطين في تـرتيب سـليم كـانت أشد منها إلى جمع كتب كاملة و جـدت فيما بعد في بلاد ما بين النهـرين القديمـة. و يـرى سـارتون أن المصـريين اخـترعوا الكتب في حين أن السومريين اخترعوا دور السجلات[105] .

و على غرار المواد التي استعملها الآشوريين إلى جـانب الطين من العظام و الخشب، يوجد أيضا مادة أخـرى اسـتعملوها في التــدوين و هي الرقــوق الجلدية (Parchment)[106] . لقد كــان للطين اثر كبير في أشكال المدونات و طريقة جمعها و فهرستها لأنه عنـدما يتعلق الأمر بنصـوص طويلة لا يمكن اسـتعمال لـوح يتجــاوز حجم الآجر نحو (50×50 ســم) على أكــثر تقــدير، مما يتطلب اسـتعمال الكثـير من الألـواح[107] . فتتم عملية تسلسـلها بوضـعها برفـوف مسـطحة اللـوح فـوق الآخـر، و في كل قطعة تكتب الكلمــات الأولى لاسم المؤلف مثلما هو الحــال بالنســبة للموسوعات في عصرنا.

كما أعطى الطين مصـــداقية للكثـــير من الوثـــائق حيث كـــان الرافديون يغلِّفون العقود و الرسائل برقــائق رفيعة من الطين و يوضع عليها خاتم و يُكتب عليها ملخص عن العقد و خاتم الشـهود في حالة العقد، أما الرسائل فيكتب عليها عنوان الشـخص الـذي بعث الرسالة و خاتمه، فإذا كـان غلاف الطين الرفيع سـليما فهو دليل كاف على صحة الوثائق من التزوير[108] .

---

[105] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1، ص159.

[106] - طه باقر، **مقدمة في أدب العرق القديم**، ص 52.

[107] - نفس المرجع، ص 48.

[108] - George Contenau**, la vie quotidienne a Babylone et en Assyrie**(Hachette, France: 1945), p 185.

نظراً لأهمية الكتابة في حياة سكان بلاد الرافدين فقد عُدَّ مصـــدر الكتابة إلهيـــاً, فهي هبة منحتها الآلهة للبشر لتســـيير شؤونهم بها وحسب اعتقادهم فقد نُسِبَ لعـدد من الآلهة شـؤون الكتابة وعـدّوا أنصـاراً للكتبـة. ومنهم الإله نـابو والإلهة نيسـابا واعتـاد الكتبة على إيـداع الهـدايا النذرية والألـواح المكتوبة الـتي تمجـدها في معابـدها الـتي سـميت بـــ: (إيزيـدا)ـ[109].و من آلهة الكتابة نجد:

- الإلهة (نيســـابا NISABA): فقد ارتبط ذكر هـــذه الإلهة بالقصب عند العراقيين القدماء وكان هذا النبات ينمو نمواً كثيفـاً في الأهوار على ضفاف القنـوات المائيـة، وكما هو معـروف فقد أُسُــتخدِم القصب كــأداة للكتابة على الطين من قبل الكتبة لــذا كـانت نيسـابا إلهة للقصب المسـتعمل في الكتابـة، " تقـود يد الكاتب المبتـدئ " في سـعيه لتعلم الكتابة .[110] و هكـذا أصـبحت نيســابا إلهة للكتابة والحســاب والعد ومعرفة الكتبة والنبــوءات التي كـانت تعتمد على الأعـداد، فقد تـردد على ألسـنة المعلمين القدامى العبارة التي تمجد قـدر الإلهة نيسـابا وعونها في تمكين التلميذ من إنهـاء فـترة دراسـته وتخرجه من المدرسة حيث نجد في أحد النصـوص: "لقد أصـبحت أهلاً للقب الكـاتب, لقد أعليت قدر نيسابا ملكة المعارف, فالحمد للكِ, يا نيسابا". كذلك سـميت الإلهة نيســابا كاتبة الجميع (طبشر كــلِ tupsar kali) في حين وصف زوجها الأول الإله (خايا khaya) بأنه سيد الرقيم المختوم أو إله الكتبة (ال ش طبشري il sa tupsarri) . وقد أصبح الإله نـابو

---

[109] - عامر عبد الله الجميلي: **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة،** (منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق: 2005)، ص102.

[110] - قاسم الشواف: **ديوان الأساطير سومر وأكاد و أشور**، إشراف أدونيس، (ط1؛ دار الساقي، بيروت: 1999)، ص302.

فيما بعد وحسب العقائد العراقية القديمة زوجـــاً للإلهة نيســـابا وكان يمثل إله الكتابة بدلاً من الإله خايا السابق لعلاقة هـذا الإله بفنون الكتابة ومعارفها،وقد ظهـرت الإلهة نيسـابا في طبعة ختم أســـطواني يعـــود إلى العصر الأكـــدي وتظهر فيه جالسة على كرسي وتشع من كتفها أو جسمها سنابل شعير (فهي كانت أيضا آلهة الحبـــوب)[111] وتمسك بيـــدها حزمة من نبـــات القصب دلالة على علاقتها بأداة الكتابة وهي القصب.[112]

2. الإله نابو (nabu):ـ وهو ابن الإله مردوخ يمثل اله الـرقم عشـــرة ، و يعتـــبر خـــالق الكتابة على الطين[113] ، و قد أصـــبح إله بابل، كاتب الآلهة يسجل أقدار المملكة في عيد رأس الســـنة من كل عام، منذ الفترة الملكية الأولى في بابل. [114]وُصِـف هـذا الإله بأنه إلـه الكتابة وحـــامي الكتبة والمدرسة في النصـــوص الأدبية ورمز له بـــالرقيم والإســـفين في المشـــاهد الفنية أو بالإســـفين والقلم كما رمز له بالإسفين المنفرد. وكان هذا الإسفين عمودياً وأحياناً أفقياً ورمز له أيضاً بقلم الكتابـة، وفي بعض الأحيـان ورد في المشـاهد على هيئة قلم اسـتقر على لـوح طيـني.[115] **(أنظر الملحق رقم 08 ص 155)**

كما رمز له في مشاهد أخـرى بهيئة إله راكب على ظهر أفعى ـ تنين ــ كما وصف هـذا الإله بأنه مبتـدع كتابة الكتبة (بـانو شـطر طبشـــروت banu sitir tupsarruti) وأنه الكـــاتب الـــذي لا مثيل له (طبشر لا شنان tupsar la sanan)، وكاتب الإلهة الحاذق بالقصب (قلم) الرقيم (طبشر الان صـابت قن طب tupsar ilani sabit qan

---

[111]- MYRIAM PHILIBERT, **Dictionnaire des Mythologies**, p 199

[112] - عامر عبد الله الجميلي، **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة**، ص102.

[113] - MYRIAM PHILIBERT, **Dictionnaire des Mythologies**, p 193

[114] - قاسم الشواف، ديوان الأساطير، ص302.

[115] - عامر عبد الله الجميلي، المرجع السابق، ص 102.

tuppi (، هذا ولعل عبادة الإله نابو سادت في بابل مع وصول الأموريين في بداية الألف الثاني قبل الميلاد إلى بلاد الرافـدين إذ أصبح مقره الـديني في مدينة بورسـبا قـرب بابـل, كما أصـبحت الإلهة نيســابا فيما بعد زوجته فقد كــان يمــارس في احتفــالات السنة الجديدة من كل عام طقوسـاً يتم فيها إحضـار تمثـال الإله نـابو الإله الأعلى لبابل مع الإله مـردوخ, أمَّا في العصر الآشـوري الحـــديث فقد حلت عبادته في مدينة آشـــور أيضـــاً ومدينة كلخُ (نمرود) وبذلك أصبح هذا الإله إلهاً آشورياً ولا سـيما في فـترات حكم الملكين أسرحدون و آشوربانيبال[116].

وفي فــترة حكم نبوخذنصر الأول (1124-1103 ق.م)، وصــلتنا لوحات مدرسية، سجل عليها التلاميذ الكتبة شكرهم للإله نابو مع ابتهالات موجهة إليه مثال:

" أيتها اللوحة تكلمي عني أمام الإله "

أو " ليجعل نابو عقلي أكثر تفتحاً "

أو " ليهبني عمراً مديداً و يحوّل عني المرض لكي أبلغ [...]

ماديا و روحيا ويزداد فهمي."[117]

وهنــاك ابتهــال آخر يرجو عمــراً طـويلاً يمكِّن الطـالب من " تحسين معرفته بالإشـارات المسـمارية و تسـجيل لوحته بشـكل أجــود ".[118]ومن آلهة الكتابة الأخــرى عند ســكان بلاد الرافــدين الإلهة (كشتن انا) أخت الإله تموز رهينة العـالم السـفلي حسب معتقداتهم بدلاً عنه وهي التي تولت وظيفة كاتبة العالم السفلي

---

[116] - نفس المرجع، ص 102.

[117] - قاسم الشواف، ديوان الأساطير ، ص 302

[118] - المرجع نفسه، ص 302.

و تلقَّبت بلقب سـيدة العـالم الآخر (بيلت صـير belit-seri) ومعها زوجها (ننكزيدا NINGIZZIDA).

وقد وصـفت النصـوص الأدبية هـذه الكاتبة ومنها ما جـاء في (ملحمة جلجـامش) على لسـان (انكيـدو) عند وصف مشـاهداته عن العـالم السـفلي لصـديقه جلجـامش إذ ذكر أنه شـاهد هـذه الكاتبة تجلس القرفصـــاء وتحمل لوحـــاً تقـــرأ منه للإلهة (ايريشـــكيجال ERISKIGAL) آلهة العـــالم الســـفلي وزوجة الإله (نركـال NERGAL) إله العـالم السـفلي وربَّما كـانت هـذه الكاتبة تقـوم بتسـجيل أسـماء كافة المـوتى الـذين يتوفـون يوميـاً بل وتحتفظ بقـوائم كاملة عنهم وتُعلِم بهم آلهة العـالم السـفلى.[119]

مراحل تطور الكتابة:

كان للحاجة إلى تدوين الواردات و ضبط الحياة الاقتصادية و إدارة المعابد دوراً كبيرا في اختراع الكتابة، ذلك أن أقدم الألـواح المكتوبة على الطين من عصر الوركـــاء قد جاءتنـــا من المعابد الـتي عـثر عليها في مدينة الوركـاء، وهي تمثل سـجلات بسـيطة لأملاك المعبد و وارداته، لذلك فان الكاتبة المسمارية كغيرها من اكتشافات الإنسان مرت بمعدة مراحل خلال تطورها.

كانت الكتابة في أولى مراحلها بهيئة صور للأشياء المراد تـدوينها و هـذا ما يعـرف بـالطور الصـوري Pictographic [120]. حيث أصـبح بالإمكان التعبير عن كلمة بعلامة واحدة[121]،

ولعل بداية الكتابة السومرية في شكلها الصوري يشبه الكتابة الهيروغليفية المصرية حيث أنها تعبر عن الأشـياء بصـورة تعكس شـكلها الحقيقي ، فكـانت تسـتوحى من صـور العـالم المـرئي

---

[119] - عامر عبد الله الجميلي، **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة** ، ص 103.

[120] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 307.

[121] - خزعل الماجدي، **متون سومر**، ص 38.

كالإنســان وبيئته و الماشـية وطرائد الصـيد الـبري و النهـري و النباتات و الأدوات البيتية و الزراعية والسلاح وإلى غير ذلك [122].

و يرى الأستاذ جورج سارتون أن هذه الظاهرة التعبيرية اهتدى إليها كثير من الشعوب كل على حـدة، لأنه من اليسـير أن تكـون الرمــوز الدالة على أفكــار أو حقــائق، وقد اســتعمل الهنــود الأمريكيون والهنود الصينيون و المصريون و شـعوب أخـرى مثل هذه الرموز و نحن لا نزال نستعمل البعض منها[123] . لم يكن عدد الصـور المعـبرة في هـذا الطـور من أطـوار الكتابة كبـيرا، لأنها جعلت للأشياء التي يندر استخدامها من مثل صورة الأسد، و أنثى الأيل، و المـاعز الجبلي[124] ، و كـانت مؤلفة في هـذه المرحلة أي عصر الوركاء من حوالي نحو 2000 علامة [125] .

كانت الطريقة التصويرية تصلح للتعبير عن الماديات و لكنها لا تكفي للتعبــير عن المعنويــات وقليلا ما عــبرت عن الفكــرة المعنوية بشيء مادي يرمز إليها. فقد عثر على بعض نمـاذج هـذا الطـور الكتـابي على لـوح حجـري صـغير رقيق من مدينة كيش، صــورت علاماته التصــويرية ما يمثل الوجه و القــدم وواجهة المسـكن وما إليها داخل مسـتطيلات متسـعة تتحـدد بخطـوط تفصل بين كل واحد منها والآخــر، و نمــوذج آخر نقشت علاماته التصويرية في مستطيلات ضيقة تتعاقب في انهر رأسية[126].

و قد انتقلت الكتابة من طورها الصوري إلى طور آخر يدعى الطـور الرمـزي (Idéographie)حيث أصـبح بالإمكـان التعبير عن الأشياء و الأفكار المتعلقة بها أو التي يمكن أن تـوحي

[122] - عبد الحكيم الذنون، **الذاكرة الأولى**، ص 42.
[123] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1، ص 154.
[124] - عبد الحكيم الذنون،المرجع السابق، ص 42.
[125] - طه باقر، المرجع السابق، ج1، ص 307.
[126] - عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم**، ص 592 .

بها [127].و لعل التــدوين بالكتابة الصــورية للأشــياء المادية و ذلك برسم صـور مـوجزة لها يصـعب من عملية التعبـير عن المعـاني المجردة، ذلك لأن عدد العلامات التي كانت تسـتعمل قد اخـتزل إلى زهـاء نحو 200 علامة في عهد جمـدت نصـر، فـأدى ذلك إلى ابتكار الطريقة الرمزية أي التعبير عن الأفكار والمعاني المجردة بالصـورة المادية بهيئة مختصـرة و لا يريـدون بها صـورة الشـيء المادي و إنما المعاني والأفكار المشتقة منه أو المتعلقة به[128] .

و قد لعبت الصورة المختصرة للأشياء المعبر عنها دوراً كبيراً في التدرُّج نحو الابتعاد عن الصورة أو الشكل الأصلي. فأصـبحت الأشــكال تبــدو أبسط تكوينا و أكــثر اختصــاراً و تفقد صــلتها الواضحة بالشكل الأولي المتقن حتى أصبحت إشارات وعلامات، بل رمـوزا[129] . فمثلا صـورة المحـراث يمكن أن تعـبر عن الفلاح أيضا، و صورة الفم و معه صورة الماء تعبر عن الفعل (شــرب) فــإذا كــان معه قطعة خــبز تعــبر عن الفعل (أكل)[130] . كما أن صورة القدم بحسب الطريقة الرمزية لا تستخدم لتـدوين القـدم أو الرجل بل للتعبـير عن المعـاني المتعلقة بعــضو الــقدم مثل القيــام، الــمشي، والوقـــوف و الـدخول و الخـروج، وصـارت صورة الشمس لا تعني جرم الشـمس و إنما المعـاني المتعلقة المشتقة منها كالحرارة و الضوء واليوم....إلى غيره.

و بجمع الطريقة الصورية المحضة و الطريقة الرمزية صار بالإمكـان التعبـير عن معـان و جمل كثـيرة و لكن مع ذلك ظلت الكتابة ناقصة لا يمكن التعبـــير بها عن المعـــاني المضـــبوطة

---

[127] - خزعل الماجدي، **متون سومر**، ص 38.

[128] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 308.

[129] - عبد الحكيم الذنون، **الذاكرة الأولى**، ص 38.

[130] - خزعل الماجدي، **متون سومر**، ص 38.

لاحتمـال التفسـيرات و قراءتها و تأويلها بحسب القـراء فخطى القوم خطوة أخرى و هي الاصطلاح على ما تقـوم له تلك الصـور و تحديد المعـــاني للصـــور المختلفة و لكن مع ذلك بقي من المسـتحيل على الكتبة أن يعـبروا بالطريقة الرمزية وحـدها عن الآراء المجردة كالصـدق و الأمانـة. و عن الألـوان، كما انه يتعـذر كتابة أسماء الأعلام أو الأشـخاص فـدعت الحاجة إلى تلافي هـذا النقص إلى تطو أو تحسن جديد و هو اسـتخدام أصـوات للأشـياء المادية المكتوبة بالصـورة لكتابة الكلمـات المختلفـة، وهـذه هي الطريقة الصوتية (Phonetic) [131]. حيث أصبح الاهتمام بالعلامـات المسـمارية دون معانيها الـتي تعـبر عنها الصـورة في الأصـل، لتكتب بواسطة الأصوات[132]، و في هـذه المرحلة تظهر الرسـوم التي بدأت تدريجيا تبتعد عن الصورة و الشكل الأصلي فأصـبحت الأشـكال تبـدوا ابسـط تكوينـا و أكـثر اختصـارا ، فمثلا بعد أن كـانت كتابة اسم الشـخص تبـدو و هو واقف في المرحلة التالية أصبح وهو جالس.

إن هذه الأشكال التي لم يعد لها صلة كبيرة بالأصل كان لا بد من تـذكرها، إلا أن عـددها يبلغ المئـات الأمر الـذي كـون طبقة خـــاصة من الـــكتبة في سومـــر، و ظلت هـذه الطبقة هامة و مرموقة حتى آخر عهد استعمال الكتابة المسمارية [133].

وهنا يجدر بنا الإشارة إلى أنه أثناء تكوين الكاتب أي عندما يكون تلميذا فانه يعتمد بصـفة خاصة على ذاكرتـه، و هـذا ما بينه لوح وجد بتل الحريري بمدرسة مـلحقة بمعبـد،**(أنظر الملحق رقم 10 ص 157**) مكتوب عليه: "يثرون ذاكرتهم شيئا فشيئا بالعبـارات

---

[131] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 308.

[132] - خزعل الماجدي، **متون سومر**، ص 33.

[133] -؟ عبد الحكيم الذنون ، **الذاكرة الأولى** ، ص 44.

" الـتي تتعلق بتخصصـهم، فمعـارف الكتبة ترتكز على ذاكـرتهم من الجمل التي تتعلق بتخصصهم [134].

أما المرحلة الأخيرة من مراحل تطور الكتابة فهي الكتابة المقطعية (Agglutinative) والتي مهدت لها المرحلة السابقة حيث أصبح الاعتماد كليا على الألفاظ الصوتية دون المعاني فبدأ دمج العلامات ليدل على كلمات مادية و معنوية جديدة، و أصبح مع هذه المرحلة كتابة الأسماء سهلا. فمثلا إذا كان اسم الشخص (كيتى Ki-ti) فيتم رسم علامة (Ki) التي تدل على المكان أو الأرض، ثم بعدها علامة (ti) التي تدل على السهم أو الحياة دون أن يعني بالضرورة اسم الشخص (مكان أو ارض الحياة) مثلا[135] .

إن علامـات الكتابة مهما كـثرت يبقى عـددها محـدد نسـبياً، أما الأفكـار و الأشـياء فلا يمكن حصر عـددها، و كـان الكتبة يعـبرون بالعلاقة نفسها عن المعنى الأصلي أو الشـيء الأصـلي كـالقرص الــذي يرمز بالأســاس إلى الشــمس و أصــبح فيما بعد لا يعــني الشــمس فحسب بل الضــياء و النهــار والبيــاض. ومن هنا فــإن علامات الكتابة المسمارية يمكن أن يكـون لكل منها قيم صـوتية متعددة تصل أحيانا حتى العشرين (متعـددة الأصـوات Polyphone [136]).

إن السومرية لم تتخل أبدا عن الكتابة الصـورية – الرمزية حـــتى آخر عهد لهـــا، بل خلطت بينها و بين المقطعيـــة، و لكنها استطاعت أن تختصر الرموز المسمارية مثلما ذكرنا سـابقا و أن تخفض عـددها. وقد طـور الكتـاب السـومريون المقـاطع حيث

---

[134] - **Georger Contenau,** op Cit, p. 183.

[135] - خزعل الماجدي، **متون سومر**، ص 40.

[136] - عبد الحكيم الذنون، **الذاكرة الأولى**، ص 44.

صارت تخدم أغراضهم و تفي بحاجاتهم على أتم وجه، حتى بدءوا منذ منتصف الألف الثـــالث قبل الميلاد يســـتعملون الكتابة المســـمارية في مختلف فنـــون القـــول و الكتابة الأدبية و التاريخيـة.فبعد أن كـانوا يكتبـون كيفما اتفـق، بـدءوا منذ حـوالي 2400 قبل الميلاد يسطرونها بحسب تسلسلها اللغوي الصـحيح و الثابت، وبعد أن كـانوا يكتفـون بالجمل الاسـمية و يتحرجـون من كتابة الأفعال و التعبير عنها، أصبحوا يعـبرون كتابة عما يتلفظـون من جمل مفيدة سليمة اللغة و اللفظ حق تعبير من دون نقصـان حرف جر أو أداة نحوية و غيرها من أنواع الكلم[137] .

أما لغة الكتابة المسـمارية فكـانت البابلية أو الفارسـية القديمة أو أي لغة قديمة أخــرى تتصل بهــذه اللغــات، و نجد أن الآشوريين القدامى اتخــذوا اللغة الآكادية في كتابـاتهم و هي لغة متطورة عن اللغة السومرية، و كانت لغة التخاطب السـائدة بين البابليين القدامى. (**أنظر الملحق رقم 11 ص 158)**

وبالنسبة لكيفية توصل العلماء إلى قراءة الكتابة المسمارية فيمكن أن نـوجزه في الـدور الكبـير الـذي لعبه (السـير هـنري رولنصن) في هـذا المجـال. و ذلك عنـدما كـان في بعثة إلى بلاد فارس أين وجد نقوشا بإحدى الصخور في (بهسـتون) الـتي تبعد حـوالي اثـني عشر ميلا غـرب (كرمنشـاه) للغـات هي البابلية و الفارسية القديمة و السوسـية (العيلامية)، و ينتصب إلى جـانب تلك الصخرة تمثـال ضـخم ورد ذكـره في بعض قصص الرحـالين بأشكال غريبة تبين فيما بعد انه تمثال الملك الذي أمر بوضع هذا النصب مع الكتابة المدونة على الصخرة و ذلك في عام 516 قبل الميلاد. و قد توصل إلى معرفة ثلاث أســـماء للشخصـــيات

---

[137] - المرجع نفسه، ص 44.

الملكية و هم (داريـــوس) و (هستاسب) و (وكســـر) و تلك أولى الخطوات المهمة التي تلتها خطوات أخرى[138] .

حيث تمكن في العام 1847 م من أن يقـوم بترجمة كاملة للنص الفارس مع وضع شروح و ملاحظات نحوية و أبجدية كاملة ، و بعد ذلك تمكن من ترجمة النصـوص الأخـرى بمسـاعدة عـدد من العلماء الآخرين .لقد كـانت تلك الـتراجم تمثل اجتهـاد هـؤلاء العلمـاء على الأقـل، بيد أن الشـكوك الـتي أثـيرت حـول صـحتها استدعت فحصـها و تـدقيقها، ففي عـام 1856م اقـترح (فـوكس تــالبوث) (الــذي اشــتهر بكونه أول رائد عمل في حقل اخــتراع التصــوير الفوتــوغرافي) أن تقــوم الجمعية الآســيوية الملكية بــدعوة ثلاثة أو أربعة من علمــاء المســماريات ليقــوم كل واحد منهم على انفراد بترجمة مقطع طويل من الكتابـات الآشـورية و أن توضع كل ترجمة في ظــرف مختــوم و ترسل إلى ســكرتير الجمعية، و اقترح كذلك أن تؤلف لجنة تتولى فتح هذه الأظرف و مقارنة الـتراجم مع بعضـها و إعلان النتيجـة، وان تتم جميع هـذه الإجراءات في جو من العلنية.و كانت الكتابات التي اختيرت لهـذا الغرض هي المواد المدونة على منشور من الطين المفخور يعود إلى الملك (تكلات بلاصـر) و الـذي سـبق أن اكتشف في مدينة أشور، وتم تكليف كل من (فوكس تالبوث) و(رولنصن) و (ادوارد هنكس) و (جي. أوبـــرت) للقيـــام بترجمة هـــذه المدونــة، حيث أرسل كل واحد منهم ترجمته بغلاف مختــوم إلى الجمعية الآسيوية الملكية، وبعد مقارنتها وجدت متفقة مع بعضها اتفاقاُ تاماُ بحيث لم يعد ثمة شك بان علماء الآشوريات يفهمــون ما يقرءونه فهماً تاماً.[139]

---

[138] - أي روستن بايك، **قصة الآثار الآشورية**، ص 122.

[139] - نفس المرجع، ص 123.

و هنا نتوقف أمام العديد من الصعوبات التي تنتج عن تنوع اللغات و يشعر المـرء بحراجة الموقف في حـال الاختصـار و في حصر الأمور على وسط بلاد ما بين النهـرين أي بعد التغاضي عن الأقطــار و الشــعوب المغلوبة فقد حــدد الســومريون الكتابة المسمارية و لم تندثر لغتهم إلا رويداً رويـداً مع تفـوق السـاميين عليهم عــددا و نفــوذا و بقيت وقتا طــويلا تســتعمل خاصة في النصــوص الدينية الــتي تحافظ أكــثر من ســواها غلى التقاليد القديمـة. لـذا وجب على كل كـاتب جـدير بهـذا اللقب أن يفهم و يقرأ و يكتب لغة ميتة، مهما كـانت نواقصـها ثابتة كعـدم ليونتها و خاصة قلة وضوحها. وللاستعمال العادي تغلبت لغة سامية الأصل تمتاز امتيـازا عظيما بليونة قواعد صـرفها، وبوضـوحها و بقـدرتها على تأدية مختلف أنواع الفكر مهما كانت دقيقة.لقد بيَّن الكتــاب الأكـديون جمـوع علامـات الكتابة السـومرية، وان هم احتفظـوا بمعناها للتعبير عن القيمة الصوتية للمقطع[140] .

و الفرق الأساسي بين السومريين و الأكديين يـتركز في مجال اللغة ، فالسومريون كما هو معروف كـانوا يتكلمـون اللغة الســومرية و هي لغة ملصــقة ما زالت عائلتها اللغوية مجهولة ، بينما استعمل الأكـديون اللغة الآكادية الـتي هي واحـدة من عائلة لغوية كبــيرة درج المختصــون غلى تســميتها بعائلة اللغــات السامية،إذ لاحظ علماء اللغة منذ بضعة قـرون إن هنـاك تقـارب واضح بين عــدد من لغــات الشــرق الأدنى القــديم كالأكدية (و لهجتها البابلية و الآشورية)[141]

2- الــكَتَبَة :

---

[140] - اندريه ايمار و جنين ابوييه ، **تاريخ الحضارات العام** ، تر:فريد داغر و فؤاد أبو الريحان ،(ط3؛ منشورات عويدات ، بيروت:1993)، ج1، ص173.

[141] - فاضل عبد الواحد علي، **من سومر إلى التوراة**، (ط2؛ سيناء للنشر، القاهرة: 1996)، ص 40.

يطلق على الكاتب كلمة (DUB . SAR) في النصـوص الاقتصـادية من فترة العصر السـومري الحـديث ، و يقصد به الإنسـان الـذي نال تعليما خاصا و الذي اعـزي له عملا خاصا و يكـون موظفا في الدولة أو له وظيفة في المعبد[142] .

و لعل أقـدم مصـطلح سـومري عـبر عن معـنى الكـاتب هو مصـطلح (أومبيسـاك UMBESAG)، وورد أحيانـاً بصـيغة (أوبسك UBISAG)ـ ، ولا تتـوفر لـدينا معطيـات دقيقة حاليـاً عن ماهية المصـطلح سـوى ما ورد في النصـوص المعجمية عن أصـناف الكتبة إذ يـأتي مع المقطع (شِـد sid)ـ ، لـيرادف كلمة (طبشر tupsarru) الأكدية ،ويرد مع هذا المصـطلح مصـطلح آخر هو (سـنكا SINGA) وهو أحد أصناف الكهنـة، فقد كـان الكـاتب عـادة من بين الكهنة، الذين عدّوا حقاً الآباء الشرعيين لفن الكتابة والكتّـاب. و أقدم ذكر للعلامة المسمارية التي دوّن بها هذا المصـطلح (سـنكا SINGA أوSANGA) جاءتنا من نصـوص مدينة الوركـاء في أروقة معبد الآلهة إنانا، ويقابل هذا المصطلح في اللغة الأكدية مصـطلح (شنْكُم sangum) الذي يضاهي المصطلح السومري تمامـاً، ونـادراً ما كتب هذا المصطلح بشكل مقطعي، كما يـرد المصـطلح غالبـاً في نصوص العصر البابلي القديم بصيغة المصطلح السومري (E. BAR/ SANGA)ـ ، إذ ورد هـذا المصـطلح مـراراً في العديد من النصـوص التاريخية والدينية والاقتصـادية والطبية والرسـائل والعقود ونصـوص الفـأل[143] .كـذلك يعـرف الكـاتب بأنه ترجمـان المراسـلات الرسـمية و الخاصة و الشـؤون السياسـية و الأعمال القضائية و العلاقـات القائمة بين المواطـنين و العوائل .

---

[142] - وليد الجادر و عبد الإله فاضل، " **دور العلم و المعرفة في العراق القديم** "، مجلة المورد، عدد3 (بغداد: 1987)، ص90

[143] - عامر عبد الله الجميلي، **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة** ، ص 14

كما أن المعـــنى بكل ما يتعلق بمتطلبـــات العبـــادة و أفلاكها : السحر و العرافة و التنجيم.[144]

وفيما يتصل بـالمعنى الـذي يعكسه مصـطلح (SANGA)، يـرى أحد البـــاحثين أن أصل الكلمة تعـــني المحاسب لكـــون العلامة المسـتخدمة للتعبـير عنها تقـرأ أيضـاً (SID) السـومرية و بالأكدية (مَنُو manu) ومعناها يعـدّ ويحسب. في حين يـرى بـاحث آخر إن كلمة (SANGA) هي بالأصل (SAGGA)، والعلامة (ســـاك SAG) تعطي معنى الرأس أو الهامة.وكان الكـاهن والكـاتب السـومري الشـــهير (دودو) (**أنظر الملحق رقم 12، ص 159**) في معبد الإله (ننكَرسو). [145].

ومن خلال قراءة النصوص الاقتصادية من العصر السومري الحديث أيضاً تبين أن مصطلح (DUB. SAR) كان يطلق على الفرد الـذي نـال تعليمـاً أو الـذي أسـند إليه عمل خـاص وتسـلم مهـام وظيفة في الدولة أو أن له وظيفة في المعبـــد، كما يمكن عـــدّه بمفهومه الكاتب ومعناه في وقتنا الحاضر[146] .

والملاحظ في هذا المصطلح أنه ورد بصيغة التركيب (الإلصاق والإلحاق) وهي من خصائص بنية اللغة السومرية ، والـــتي تتصف بدمج كلمتين أو مقطعين أو أكثر لتأليف كلمات أخرى ذات معـان جديـــدة، وهـــذا ما ينطبق عليه مصـــطلح (دُب. ســـار DUB. SAR) فالمقطع الأول (دُب DUB) تعني (لوح طيني)، أما المقطع الثـاني (ســـار SAR) فيعـــني (كتَبَ) وبجمع المقطعين أوالكلمـــتين نتجت

---

[144] - وليد الجادر و عبد الإله فاضل، " **دور العلم و المعرفة في العراق القديم** " ص90.

[145] - عامر عبد الله الجميلي، **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة** ، ص 14

[146] - وليد الجادر و عبد الإله فاضل، " **دور العلم و المعرفة في العراق القديم** "، مجلة المورد، عدد3 (بغداد: 1987)، ص90.

عنهما كلمة ثالثة هي (دب. سار DUB. SAR) التي تعني[147] (كـاتب اللــوح الطيــني) . وقد اســتمر اســتخدام هــذا المصــطلح في النصوص الأدبية في العصور اللاحقة.وبعد قيام الدولة الأكدية في حدود القرن الرابع والعشرين ق. م، حيث تبـنى الأكـديون نظـام الكتابة المسمارية في تدوين لغتهم من خلال المكاتبات الرسمية والشخصـية، فظهر لـدينا خلال هـذه الفـترة مصـطلح جديد هو (طُبشـرُّ tupsarru) للتعبـير عن كلمة كـاتب.ويبـدو واضـحاً أنه كـان للمـوروث اللغـوي السـومري أثـره في انتقـال هـذه الكلمة إلى الأكديين فقد اقتبسوا كلمة (DUB. SAR) السـومرية وتم تحويرها بطابع أكدي كشأن غيرها من الكلمـات السـومرية الـتي توارثوها وتصـــــرفوا بها وبما يلائم كتابة لغتهم ولفظها[148] . **(أنظر الملحق رقم 13، ص 160.)**

ومنذ بداية القرن الثامن ق. م بدأت اللغة الآرامية تنافس اللغة الأكدية في الاسـتخدام، وعلى الـرغم من عـدم وجـود دولة آرامية قوية تسند انتشارها وتفـرض اسـتخدامها، فقد حلت اللغة الآرامية تـدريجياً في الاسـتخدام محل اللغة الأكدية في المنطقة وصارت بحروفها الأبجدية البسيطة تقتحم معاقل اللغات المحلية الأخـرى أيضـاً كالكنعانية في بلاد الشـام، كما ونافست الأقـوام الأجنبية الغازية بعد ذلـك، كالفارسـية واليونانيـة، إلى أن سـادت المنطقة كلها وغـدت اللغة الرسـمية في مـدوناتها. وفي حـدود القــرن الخــامس ق. م ظهر مصــطلح آخر هو (ســبيرُ sepiru) أي كـاتب الـرّق الـذي يضـاهي الكلمة العربية (سـافر)، إذ ورد في النصوص المكتشفة في موقع نفر أن "سبيرُ كان كاتباً ومترجمــاً

---

[147] -عامر عبد الله الجميلي، **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة**، ص 15.
[148] - المرجع نفسه ، ص16.

لمختلف العمال المسـتخدمين في المدينة[149] .(**انظر الملحق رقم 14 ص 161**)

و على الرغم من عدم انتشار التعليم في العراق القديم، بسبب نظام الكتابة المسمارية شديد التعقيد، حيث لم يكن عـدد المتعلمين ليزيد عن 2 إلى 5 بالمئـة من مجمـوع السـكان فمن الخطأ القـول بـأن الكتابة كـانت حكـرا على جماعة صـغيرة من الكهنة [150].ويمكن القـول أيضا هنا أن مجمـوع الكتـاب من عصر سـلالة أور الثالثة هو (1541) و هو المعـروف لحد الآن ففي المقدمة تـأتي مدينة لكش (تلو حاليـاً) و فيها 620 كاتبـاً و بعـدها أوما و فيها 384 و مدينة أور 202 كاتباً و المعروف أن عدد الكتاب الفعلي في هذه المدن يكون أكثر مرتين إلى ثلاث مرات من هذا العـدد المـذكور أعلاه و لإعطـاء العـدد الفعلي للكتـاب في هـذه المـدن يحتـاج المـرء إلى دراسة مفصـلة لإدارة هـذه المـدن كل لوحدها و كـذلك الوحـدات الإدارية التابعة لها .[151]فالكتبة في بلاد الرافدين هم من أهم الفئات في المجتمع، حيث كانت لهم مكانة مرموقة للـدور الـذي لعبته الكتابة في الحيـاة اليومية للإنسـان الرافدي. كما انه لم يكن بوسع الحكام و الكهنة الأثرياء الاستغناء عن خدماتهم [152]. ولم تأت هذه المكانة المميزة من فـراغ، وإنما يقف وراءها عدة أسباب لعله من أهمها أن هذه المهنة لا تكتسب إلا بعد جهد وعناء كبيرين يصـاحبان تكـوين الكـاتب منذ أن يصـبح قادرا على الذهاب إلى مكان تعلمها.

---

[149] - المرجع نفسه، ص17.

[150] - شعبان عبد العزيز خليفة، **الكتب و المكتبات في العصور القديمة**، (ط1؛ الدار المصرية اللبنانية، القاهرة: 1997)، ص 101.

[151] - وليد الجادر و عبد الإله فاضل، " **دور العلم و المعرفة في العراق القديم**" ، ص91.

[152] - بوانفارد ليفين وآخرون، **الجديد حول الشرق القديم**، تر جابر أبي جابر (دار التقدم، موسكو:1988)، ص 211.

لقد ارتاد الكتبة الصـغار المكتبة المكـان الـذي يتعلمـون فيه أصــول الكتابة و في هــذه المــدارس خاصة الملحقة بالقصر أو المعبد الـتي وجـدت أمثالها في مـدن أور. ووجـدت أيضا قـوائم الكلمات والمعـاجم الثنائية اللغة و ألـواح التمـارين الخطية الـتي استخدمت في إعداد الكتبة و كانت الرسوم على التعليم يــدفعها والد التلميذ الذي غالبا ما ينحدر من الطبقة العليا و إذا لم يتخـرج في كان يعين ضـابطا عسـكريا أو موظفا رسـميا أو محاسـبا[153] ، وكــان أغلبية الكتبة من الــذكور الــذين يحضــرون الــدروس من شـروق الشـمس[154]، و يسـتمر الكـاتب في الدراسة و التـدريب حتى سن البلوغ.

لقد كشفت لنا التنقيبات عن مئات الألواح المنقوشة بمختلف أنـواع التمـارين المدرسـية الـتي كـانت تهيأ في واقع الحـال من جانب الطلاب أنفسهم كجزء من أعمالهم اليومية[155] ، كما تعطينا بعض النصوص صـورة من الحيـاة المدرسـية الـتي كـان يعيشـها المتعلم و يبدوا أن طلب العلم كان يكلف ذوي المتعلم كما سبق الإشارة إليه . وذكـرت لنا هـذه الألـواح أيضا أسـماء كاتبـات إلى جانب الكتاب على الـرغم من أغلبية الكتبة كـانوا من الـذكور[156]. ففي الفــترة الســومرية القديمة نجد مقابل 1500 كــاتب هنــاك كاتبتان فقط ، ولكن اللاتي يعـرفن القـراءة و الكتابة و لهن خـبر جيدة في هذا الميدان كن كثيرات و كان من الأميرات من يحملن

---

[153] - شعبان عبد العزيز خليفة، **الكتب و المكتبات في العصور القديمة**، ص 102.

[154] - **Georger Contenau**, op Cit, p.182.

[155] - سعيد إسماعيل علي: **التربية في حضارات الشرق القديم**، (عالم الكتب، القاهرة: 1999)، 128.

[156] - عامر سليمان: **دراسات في تاريخ العراق و حضارته** (بغداد: 1988)، ج1، ص 213.

أختام خاصة بهن حتى أن إحدى الملكات لقبت ب: nin-dub-sar الذي يعني الكاتبة .[157]

و في مدينة "شـروباك" مـوطن نـوح السـومري وجد في التنقيبات التي أجريت هنـاك في عـام 1902-1903 عـدد كبـير من الألواح المدرسية التي كان يدرس فيها التلاميذ يرجع تاريخها إلى 2500 قبل الميلاد على وجه التقـــريب. ومهما كـــان الأمر فـــان النصف الأخير من الألف الثـالث قبل الميلاد هو الـوقت الـذي بلغ فيه نظام المدرسة طور النضج و الازدهار، فقد كشفت التنقيبات عن عشـــرات الألـــوف من ألـــواح الطين في ذلك العهد ، وليس هنـاك أدنى شك في أن مئـات ألـوف أخـرى لا تـزال مدفونة في باطن الغرض تنتظر التنقيب . و لم تكن هذه الألواح تبين بطريقة مباشرة نظـام المدرسـة، إلا انه يمكننا أن نجد هـذه المعلومـات في النصف الأول من الألف الثـاني قبل الميلاد، حيث تم الكشف عن ألـواح التمـارين المدرسـية، و نجد أن خطـوط هـذه الألـواح تختلف من حيث الدقة و المهـارة، فبعضـها مكتـوب بخطـوط منتظمة مليحة و بعضـها مـدون بخط رديء بعيد عن الإتقـان كما كان يكتبه الكتبة المبتدئون. و يمكننا أن نستنتج من هذه التمارين أشـياء غـير قليلة عن طـرق التـدريس الـتي كـانت متبعة في المدرسة و طبيعة منـــاهج التـــدريس فيها ، ومن حسن الحظ أن المدرسـين السـومريين القـدامى أنفسـهم كـان يطيب لهم أن يكتبوا عن الحياة المدرسية و قد خلفوا لنا عددا من مقالاتهم في هذا الموضوع وإن كانت وصـلت إلينا غـير كاملـة[158](**أنظر الملحق رقم 15،ص162).**

---

[157] -- وليد الجادر و عبد الإله فاضل، " **دور العلم و المعرفة في العراق القديم**" ، ص91.

[158] - صامويل كرايمر، **من ألواح سومر**، تر. طه باقر، مراجعة و تقديم احمد فخري (مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، القاهرة:1958)، ص 44.

هــذه النمــاذج الــتي تم العثــور عليها كــانت بمثابة الــدفاتر المدرسية. ووجد أن البعض من هذه المجـاميع كـانت عبـارة عن نصـــوص نموذجية تســـتخدم للتعليم و أخـــرى كـــانت كتابـــات المتعلمين و المتـــدربين على الكتابة و بينها الـــتي تحتـــوي على تمارين مدرسية. البعض منه الكتابـات كـانت قد تعرضت للحك و التصحيح قبل أن تجف طينتها و لا تزال بقايا علامات آثار الأصـابع على البعض منهـا. والملاحظ أن معظم رقم الطين المسـتخدمة في التدريب على الكتابة كانت قرصية. و تحتوي هذه الألواح في العـادة على علامـات قليلة يـدون ما يشـابهها التلميذ و يتـدرب و كـــان الهـــدف من ذلك تـــدريب الطـــالب على معرفـــة أشـــكال العلامـــات و أصـــواتها، و يبـــدو أن مثل هـــذا الأســـلوب التعليمي المعـروف اليـوم بالسـمعي البصـري. و في مرحلة لاحقة يتعلم التلميذ نسخ أشـكال علامـات مختلفة يـدرجها بعد أن يسـطر له معلمه نمـــاذج منها ثم يتعلم استنســـاخ كتابـــات مدونة بعلامـــات متعددة وصولا إلى كتابة المصطلحات اللغوية و قواعد النحو[159] .

و من النمـاذج من المقـاطع و العلامـات الـتي كـان يتـدرب عليها تلاميذ مدرسة في ســبار من العهد البــابلي القــديم ومن فــترة الملك البــابلي حمــورابي (1792-1750 ق.م) كلمــات متطــورة تتكون من علامات تكون مقاطع ومنها مثلا

اشاريدو التي تعني البكر

ماخرو التي تعني الأول

شادي التي تعني جبلي

شادوني- جبلنا

[159]- - وليد الجادر و عبد الإله فاضل، " **دور العلم و المعرفة في العراق القديم** "، ص 85.

شادوشو-جبله[160]

وترد أسماء آلهة وكيفية كتابتها والتعرف بها:-

ا - رو - رو

نن - تو

نن - ماخ

و بعد أن يجتاز التلميذ المتدرب على الكتابة مرحلة الألفة مع مثل هذه المقاطع كان يتم تدريبه على كتابة مقاطع تحتـوي على علامـات متعـددة وعنـدما يجتـاز المتـدربون حـديثو العهد بالكتابة معرفة عناصـــــرها الأولية الكافية كـــــان يتم نقلهم إلى مرحلة يمارسون فيها كتابة العلامات بشكلها الرمـزي وكـذلك يتعلمـون كتابة أسـماء الأفعـال و تصـريفها و تكـون الجمل القصـيرة ثم تـترادف مع الكتابة تعلم المعـارف ومنها أسـماء المقاطعـات والأشـخاص والآلهـة. ويكـون التـدريب أيضا من تمـارين لغوية ومعرفية سـومرية وعلى الطـالب إعـادة تـدوينها و ينجز شـرح الكلمـات و تفسـيرها. و كـذلك هنـاك تمـارين كتابة قطع من الأناشيد و التراتيل و منها أسطورة ايرا، حيث يقوم الطلبة بحفظ مقاطع منها و تأديتها بصوت عال[161] .

و حفظ لنا أدب النصيحة في العراق القديم قطعة أدبية عبـارة عن نصـائح موجهة من أدب لابنه في أقـوال بليغة هـدفها إرشـــاد الابن إلى الطريق الصـــحيح، و حثه غلى الـــذهاب إلى المدرسة، واتخذت هذه النصـائح في بـدايتها شـكل حـوار ما بين الأب و ابنـه، و فيها يحث الأب ابنه على الـذهاب إلى المدرسة و طاعة المعلم و الانتبـاه إليـه، والعـودة من المدرسة إلى الـبيت

---

[160] - المرجع نفسه، ص86.

[161] - المرجع نفسه، ص 86.

دون إبطاء وعدم التلكؤ في الشوارع و الميـادين، و لكن يبـدو أن الابن لم يسر في الطريق الذي حدده و تمناه له والده فنجد الأب و قد تملكه الغضـــب، فاخذ يعـــبر عن ما يجـــول في نفسه من خواطر غاضبة مؤنبا ابنه ومـذكراً إيـاه بأنه لم يكلفه أي عمل من الأعمال الـتي يقـوم بها أقرانه و يـدرون بها دخلا على أسـرهم، و ينهي حديثه إليه بأنه يتعـذب من اجله ليلا و نهـارا بينما هو يعيش في ملذاته الخاصة، ثم يذكره بـأن أهل عشـيرته سـوف تتملكهم الشماتة فيه.

و مما جاء في هذه النصائح التي تبدأ بسؤال يوجهه الأب لابنه:

" إلى أين أنت ذاهب ؟

لم اذهب إلى آي مكان.

إذا لم تكن ذاهبا إلى أي مكان، فلم تكون كسولا ؟

اذهب إلى المدرسة، و قف أمام معلمك، و اسمع دروسك،

افتح حقيبة كتبك، واكتب لوحك، و دع العريف يكتب لك

لوحك الجديد، وعندما تنتهي من دروسك و تقدمها للعريف،

احضر إلى المنزل، و لا تتجول في الشوارع

احضر فوراً، هل تعرف ما قلته لك ؟

تعال، و كرره الآن لي

سوف أكرره لك.تعال إذاً و اخبرني به..."[162]

يكـرر الابن كلام أبيه بعد ذلك و من التعـابير الـتي تـرد في مطلع النصائح التي يقـدمها المعلم من فـترة الألف الثـالث قبل الميلاد مثلا:

" يا بني تقبل تعاليمي "

---

[162] - احمد أمين سليم، **دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم**، (ط1؛ دار النهضة العربية، بيروت: 2002)، ص 303- 304.

و في نصوص مشابهة تعاقبها بألفي عام:

" يا بـني إذا ضـربتك فلن تمت، وإذا تركتك تتبع هـوى قلبك فلن تحيا[163] ."

كان لظهور التخصصـات في أصـناف كتبة بلاد الرافـدين عوامل عدة فقد كانت رغبة الطـالب في التخصص بصـنف معين من أصـناف الكتابة عـاملاً مهمـاً فضـلاً عن اسـتكانة الطـالب لضغوطات والده وذويه أحياناً سبباً في لجوئه إلى احتراف صنف معين من الكتابـة، كما كـان لقـدرات الطـالب وإلمامه بفن كتابة العلامـــات وأســـاليبها اللغوية في صـــنوف المعرفة أثـــره في التخصص بأحد أصناف الكتابة فقد كان هؤلاء المتخصصـون يبـدو أن دراســـتهم في سن مبكـــرة وكـــان لكل حقل أدبي مفرداته الخاصة به. وكان الكاتب يعد متفوقاً إذا ما أتقن تخصصه جيداً .

وقد تكـــون رغبة الطـــالب في الحصـــول على مكانة بـــارزة في المجتمع عاملاً يدخل ضمن هذه الأهداف وربما كـانت الرغبة في تفضـيل صـنف معين على غـيره، سـعياً وراء تحقيق دخل أعلى دافعـاً في الاتجـاه لـذلك الصـنف. وكـان أهم دافع في اتجاهـات الطـــالب في هـــذا الاختصـــاص أو التخصص فضـــلاً عن العوامل المتقدمة هو ظـاهرة تـوارث المهنة أو الصـنف واحتكـاره داخل الأسرة الواحدة جيلاً بعد جيل كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً[164].

وتجدر الإشارة إلى أن تعدد التخصصـات في فنـون الكتابة كـانت له أهميته الفائقة بل إســـتلزمته الحاجة والضـــرورة في طبيعة الحياة اليومية في مجتمع بلاد الرافدين.

---

[163] - وليد الجادر و عبد الإله فاضل، " **دور العلم و المعرفة في العراق القديم** ص84.

[164] -عامر عبد الله الجميلي، **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة**، ص 56.

ومهما يكن من أمر فقد كان لكل كاتب متخصص في صنفه أن يثبت كفاءته ويتقن صنعته وحقل معرفته ليصبح مـؤهلاً لتنفيذ المهام التي توكل إليه وإلا سيكون قليل الفائـدة إذا ما أصـبح من (ذوي الصــنائع الســبع!).وكما أشــرنا ســابقا فــإن المصــطلح السومري دب سار و الأكدي طبشرُّ كان يعـني كـاتب اللـوح وهو مصـطلح عـام أطلق على جميع الكتبة دون تحديـد، أما الألقـاب التي ذيّلت في نهاية المصطلح فكـانت تعكس المـادة الـتي كتب عليها الكاتب، أو أحياناً للتعبير عن انتماء الكـاتب العـرقي واللغة التي استخدمها للتدوين. ومن خلال دراسة النصوص ذات العلاقة تبين أن هناك العديد من أصناف الكتبة التي ذيلت بألقـاب تعكس تخصصـاتهم المتنوعة في صـنوف الكتابة عـبر العصـور. والـتي تســـبق بالعلامة الدالة (لُ LU) المعـــبرة عن المهن والحـــرف والوظائف.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الألقاب قد ظهرت مع تطور حياة المجتمع فضلاً عن طبيعة المسؤوليات التي كانت تقع على عاتق الكتبة. لذا فقد تنوعت هذه الألقاب عبر العصـور ولقّب كل منهم حسب الصنف أو الوظيفة التي كان يحترفها أو يختص[165]

و يــذكر الجميلي في دراســته للكــاتب في بلاد الرافــدين أهم أصـناف الكتبة حسب تسلسـلهم الزمـني، وهم: كـاتب المعبـد، كاتب الملك، كاتب القصـر، كـاتب البلاد، كـاتب المدينـة، الكـاتب العسكري، كـاتب القضـاة، كـاتب العقد أو كـاتب الضـبط، كـاتب الاستخبارات و التقارير السرية، كـاتب القياسـات و المسـاحات، كـاتب العد (المحاسـب)، كـاتب الفلك و التنجيم و الفـأل، كـاتب التعويذات السحرية، الكاتب المترجم، كـاتب الوصـفات الطبيـة،

[165] - المرجع نفسه، ص 57.

كـاتب العلـوم الكيميائيـة، كـاتب المعـارف الجغرافيـة، كـاتب المـدونات التاريخيـة، الكـاتب الأديب، الكـاتب الناسـخ، كـاتب الحكمة، بالإضافة إلى أصناف أخرى من الكتب.

3- مكتبة نينوى:

لاشك في أن " خزائن الكتب " لم تكن في أول أمرها ، على النحو الـذي نعهـده اليـوم من تبـويب و تنسـيق و فهرسة و بنـاء خـاص بها .بل كـانت ، ككل شـيء ، يبـدأ سـاذجاً ثم يطـرأ عليه التحسـين ، و ينـال من عناية القـوم و التفـاتهم ما يسـموا به إلى درجات الكمال .

وخـزائن الكتب العراقية ، الـتي سـبق إنشـاؤها زمن الميلاد، مما ينطبق عليها هـذا القـول . فلقد كـانت حين ذاك مجموعـات من المـــدونات الرســـمية ، و النصـــوص الدينية ، و القطع الأدبية و التاريخية ، ز ما يتعلق بالحيـــاة اليومية من بيع و شـــراء و ما إلى ذلك .[166]

و منذ العصور السومرية الأولى و منذ أن وجـدت نصـوص مدرسـية من قـوائم بأسـماء كلمـات من الأطـوار الكتابية الأولى من شورباك و فارة كانت تؤلف قسـما كبـيرا من مكتبة المعبد و من النصــوص الكتابية من مكتبة (نفر)، و قد تم الحصــول على أنواع مختلفة من هذه النصوص كالصـلوات و التعويـذات وقـوائم

[166]- كوركيس عواد، **خزائن الكتب القديمة في العراق** ،(ط2؛ دار الرائد العربي ، بيروت : 1986)، ص42.

بأســماء الملــوك من ســلالة ايسن ومعــاجم ومجموعــات من القوانين وأساطير من الفترة الكاشية.

إن الكنوز الأدبية من بابل و بورسيبا و سبار التي حصلنا عليها تمثل فترات تاريخية متأخرة. ومن الجدير ذكره هنا والـذي يعتـبر من المعلومات الجديد هي الاكتشافات العلمية الأخيرة في مدينة سـبار (أبو حبة) الـتي تقع جنـوب غـرب بغـداد وعلى بعد 45كم تقريبا و كانت واحدة من المـدن الخمس الرئيسـية الـتي ذكـرت قبل الطوفان.

فقد كشفت أعمال تنقيبات جامعة بغداد – قسم الآثار عن مكتبة تابعة لمعبد و تعتبر هـذه المكتبة نـادرة و فريـدة من نوعها من حيث تكاملها و فنها المعمـــــاري خلال جميع مراحل التنقيب في العـــراق فقد اســـتخدم اللبن و أغصـــان بعض الأشـــجار والقصب[167] في تشـييد رفـوف هـذه المكتبة داخل إحـدى غـرف المعبد المطلة على قاعة يرجع استعمالها كقاعة للمطلعة . و إن المكتبة مشيدة على هيئة رفـوف أفقية تشـمل ثلاث جـدران من الغرفة والرفوف مقسـمة بقواطع عمودية حيث يصـبح عمق كل رف حــوالي 70 ســنتيمتر. وبلغ مجمــوع الرفــوف 56 رفا و أن الأرضية مرصوفة بالطوابق و مسيعة بالقار.

أما محتويات المكتبة فتشير الدراسة الأولية إلى أنها تحتوي على مختلف العلــوم و المعرفة كعلــوم الفلك و الرياضــيات و التـاريخ و الجغرافية و علـوم اللغة إضـافة إلى نصـوص قانونية و أساطير[168] وقد كـان حظ الآشـوريين من الخلق الأدبي نصـيبا يسـيرا، فقد عاشــوا على آداب العصــور الــتي ســبقتهم، و لكن

---

[167] - وليد الجادر و عبد الإله فاضل، " **دور العلم و المعرفة في العراق القديم** "، ص 96.

[168] - المرجع نفسه، ص 96.

قامت لهم مـآثر عليها و هي تجديـدهم لأغلب لوحاتهـا، و حفظهم إياها ونشرهم لها مع بعض التحوير و الإضافة أحيانـاً، لاسـيما منذ أن انشأ ملكهم ســرجون مكتبة كبــيرة في نينــوى، قيل انه نقل منها إلى حوزة المتحف البريطـاني وحـده ما يزيد عن 2200 لـوح طيني. وزادت هذه المكتبة و أسس أمثالها أولاده و حفدته، حيث كان أكـثرهم إحتفـاءاً بالثقافـات القديمة و جمعها في مكتباته هو آشوربانيبال [169].

لقد قام هذا الملك المثقف بتخصيص جناح من قصره الفخم الذي تزيد سـعته على 36 حجـرة لحفظ آلاف الـرقم التي جمعها من أنحـــاء الإمبراطورية و ذلك بإرســـال مبعـــوثين للبحث عن كتابات الاقدمين و آداب و ثقافات العهود الـتي سـبقته و خصوصا ما يتعلق بالسحر الذي كان هواية هذا الملك المحارب.

لعله يصعب القول بوجود مكتبات عامة او تلك لتي يرتادها باحثون لغـير المعـاملات التجارية اوالاتفاقيـات القانونية الأخـرى قبل مكتبة آشــوربانيبال، او حــتى زمن الإمبراطورية الآشــورية الأخـــيرة في نينـــوى في القـــرن الســـابع قبل الميلاد، المكتبة الآشـورية تمتد أصـولها إلى عهد سـنحاريب جد آشـوربانيبال كما سـبق ذكـره، حيث نقل آشـوربانيبال الألـواح المكتوبة في قصر جده في الزاوية الجنوبية من تل قوينجيق إلى قصـره في الزاوية الشــمالية من التل و هو مرتفع تبلغ مســاحته بضع كيلومــترات محاذي إلى نهر دجلة في نينـوى، و يقع في الطـرف الغـربي من مدينة الموصل حاليا[170] .

---

[169] – عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم**، ص 816.

[170] ? **-** فؤاد يوسف قزاجي، " **مكتبة آشوربانيبال** "، مجلة آداب المستنصرية، عدد 3 (بغداد: 1987)، ص 303.

وقبل استكمال الحديث عن مكتبة آشوربانيبال علينا العودة إلى الـوراء قليلا لمعرفة اصل ظهـور المكتبـات عند الرافـديين، حيث كانت هناك مؤسسـات تعـنى بـالجمع و التـأليف في شـكل خزانـات من الكتب (يسـمونها بيت الألـواح او الـرقم. أي- دبـا. بالسومرية).ودور السجلات كانت مخصصة لحفظ الوثائق و كان للمعابد الشـهيرة مؤسسـات مثل هـذه ملحقة بها و كـذلك كـان لقصور الملـوك[171] ، إلا انه كـانت المكتبة السـومرية او البابلية لا تعــدوا كونها حجــرة في معبد المدينة أو في مدرسة المدينة ، تـرتب فيها الـرقم الطينية بثـورة عامة و غالبا لا تخـرج عن كونها مكتبة وثائقية إذ جــاز القــول أكــثر من كونها مكتبة للبحث و المتابعة[172] .

إن ازدهار ثقافة جمع الألواح وتخزينها و استنساخها كان على عهد آشوربانيبال أكثر من أسلافه، فقد وجدت رسالة من هذا الملك إلى واليه في بابل يأمره فيها بان يبحث جادا عن لوحات تعاويذ الأنهار و الأشهر و رقى الوسائد الملكية و تقاويم الأيام ومراسيم رفع الأيادي ومجموعة الكروب ومجموعة سمع أنها معنونة بعنوان (لا ندع السوء يمس الذاهب إلى المزارع أو الدخل إلى قصره)، ثم أمره إلى جانب ذلك بان يضم أشخاصاً معينين إلى معييته بعد ان سمع عن حيازتهم للوحات ثمينة قديمة[173] .

حقا إن هذا الملك كان مولعا جدا بالدراسة و المطالعة و كان يستمتع بالإصغاء إلى الكتب التي تقرأ عليه او التي يقرؤها هو بنفسه (و هذا دليل على ثقافته) فقد تم العثور في إحدى

---

[171] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 313.

[172] - فؤاد يوسف قزاجي، المرجع السابق، ص 306.

[173] - عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم**، ص 817.

الرسائل الصادرة منه، في اغلب الظن موجهة إلى محافظ مدينة سيبار البابلية يأمره فيها بالذهاب صحبة أشخاص معينين للبحث عن جميع الألواح المخزونة في المعابد و على الأخص تلك التي تتضمن التنبؤات الفلكية و الصيغ السحرية و التعويذات و الصلوات و قصص الحروب و جميع ألواح الكتابات الأخرى لها بأشور و أن يرسلها جميعها إلى الملك، كما وجهت مثل هذه الأوامر إلى جميع الموطنين المسؤولين في دوائر الدولة و في البلدان و الأصقاع لنفس الغرض غلى ان لا يبقى منها شيء. و قد دون على كل لوح من ألواح المكتبة عبارة " ممتلكات آشوربانيبال، ملك الجيوش، ملك أشور " كما ذيلت ألواح أخرى بعبارة " **قصر الملك آشوربانيبال ملك العالم، ملك أشور المتوكل على أشور و بعلبت (**من الأرباب الآشورية **) الذي أعاره نبو(** ملك الحكمة**) آذانا صاغية و الذي ليس بين الملوك من أسلافه استطاع ان يتعلم حكمة الإله (نبو)التي دونت بالمرقم على هذا اللوح لقد دونت على هذه الألواح ما شئت قراءته و تعلمه ووضعتها في قصري و كل من يأخذها من مكانها او يزيل ما عليها من كتابة أو يضع اسمه بمحل اسمي عسى أن تلعنه الآلهة، و تستأصل ذريته من على وجه الأرض."**[174]

من خلال نظرة فاحصة لمحتوى هذا النص نلاحظ مدى تعلق هذا الملك بـالألواح و محتوياتها و ربط ملكيتها بالجـانب الـديني و ان حرصه على جمعها قد أعطى مصـــداقية للـــوح الطين على عهـده و قيمة كبـيرة لا تضـاهيها قيمة و هـذا ما انعكس بالإيجـاب

174 - E.A.WILLIS BUDGE , **Babylonian story of the deluge and the epic of Gilgamesh**,(BRITISH MESEUM,1920),P 20

على العـــاملين في حقل الكتابة من كتبة و أمنـــاء مكتبـــات و المكلفين بجمع الألواح،(**أنظر الملحق رقم 16، ص163.**) كما وضع سلسلة من الزواجر و النواهي تجـاه عملية الـتزوير، كيف لا وهو الملك الذي اشـتهر بالقتـال و الحـروب قبل ان يشـتهر بالثقافـة، وبهذا يكون آشوربانيبال أول مكتـبي عرفته الإنسـانية فـالحروب العديــدة و الفتوحــات الواســعة لم تشــغله عن الاهتمــام دوما بالبحث عن الرقم الطينية التي كتبها أسلافه و الإشراف شخصـيا على ترتيب المكتبة، إضافة إلى تخصـيص مسـاعدين له ليقومـوا بتنســيق و تصــنيف محتوياتها[175] ،فاوجد لها نوعا من التصــنيف الملكي ينسب إليه حيث خصصت أركـــــــــــــان معينة لبعض الموضـوعات الهامة و فـوق أبـواب المـدخل و على جميع الـرقم نقشت قائمة بالمحتويات بحسب ترتيبها على الرفــوف أو حسب وجودها في الأوعية الفخارية كما يعتقد ان الإعارة اعتمـدت على التنسـيق الحسـابي ، و كـانت أعظم ما قـدم بخصـوص التنظيم المكتبي . ومن الجدير بالذكر ان المكتبة احتوت غلى رقم طينية تضم موضوعا واحدا متسلسلا على شكل كتاب و كان يتـألف من ألواح متعـددة بهيئة معلومة وقطع واحد و هـامش مضـبوط و لم تخلو من التذييلات[176] ، حيث لا تختلط ألـواح النص الواحد بغيرها و ذلك بان يكتب عنوان السلسلة أو المجموعة على كل لوح فيها كما يبدأ كل لوح بتكرار السطر الأخير من اللـوح السـابق و يـبين اللوح الأخير عدد الألواح التي يشـملها الكتـاب او المجموعة كلها .[177]

---

[175] - فؤاد يوسف قزاجي، " **مكتبة آشوربانيبال** "، مجلة آداب المستنصرية، عدد 3 (بغداد: 1987)، ص 306.

[176] - المرجع نفسه، ص 307.

[177] - احمد بدر، **المدخل إلى علم المعلومات و المكتبات** (الرياض: دار المريخ، 1985)، ص 24.

الفصل الثالث :
إسهام البابليين و الأشوريين في العلوم الإنسانية

لطالما كانت العلوم الإنسانية إحدى مؤشرات الرقي الحضاري، فتنافست الحضارات عبر التاريخ تتفاخر بمنجزاتها أدباً و تاريخاً. و ربما كانت أهم أدوات التعبير الإنساني الأدب والشعر و أهم أساليب الإحتفاء بمفاخر الماضي ، وكان الرافديون من الأمم التي عنيت بهذا الجانب ، بل كانت رائدة فيه . و لهذا نحاول في هذا الفصل ملامسة أهم الجوانب التي تتعلق بالأدب و التاريخ و الجغرافيا لدى الرافديين ، و البابليين و الآشوريين منهم بصفة خاصة.

1- الأدب:

يقدر عدد الألواح التي تتضمن نصوصا أدبية من بين مئات الآلاف من الألواح الموزعة بين متاحف العالم عددا لا يتجاوز بضعة آلاف يتراوح بين ثلاثة إلى أربعة آلاف لوح بيد أنه لا يمكن التكهن عما سيكشف عنه المستقبل من نصوص أدبية أخرى قد تغير أو تضيف إلى معرفتنا بأدب العراق القديم أشياء كثيرة، ولكن مع ذلك يمكن القول بوجه عام إن ما كشف عنه و تم درسه ونشره من نصوص أدبية لحد الآن يعبر عن المعدل أو الصورة العامة لنصوص هذه الآداب من حيث المواضيع التي تناولها . مع أنه يمكن إجمال ما نقصده بالألواح الأدبية بأنها النصوص الكتابية التي لا تتعلق بتدوين شؤون الحياة الإعتيادية كالمعاملات التجارية و القانونية و الرسائل و الشؤون الإدارية [178].

[178] - طه باقر، **مقدمة في أدب العراق القديم**، ص 36.

و إذا أردنا مقارنة هذا الأدب بالآداب القديمة المعروفة لدينا نجد أن المصريين من المرجح أن أدبهم المدون أصبح ناضجا في الألف الثالث قبل الميلاد، ثم وجد الأدب الكنعاني القديم الذي لم يعرف إلا حديثا حين عثر على ألواح منه في حفائر " رأس شمره" بسورية الشمالية، و تدل هذه الألواح أن الكنعانيين لهم أدب ناضج أيضا[179] . كما نجد أن الأدب السومري المدون على الألواح سبق زمنيا آداب العبريين، و الإلياذة و الأوديسة عند اليونان، و (الافستا) في الأدب الهندي بأكثر من ألف عام، ونجد أن نصوص التوراة و الإلياذة و الأوديسة و الافستا التي وصلتنا تغيرت و عدلت وتنقحت على أيدي الناسخين و الشارحين و المنقحين لأغراض متنوعة، و وجهات نظر مختلفة ولم يكن الحال كذلك في الأدب السومري إذ وصل إلينا كما نقشته أيدي الكتبة الأقدمين، دون أن يغير فيه الناسخون و الشارحون المتأخرون[180] .

كما يرى الأستاذ طه باقر بأن أدب حضارة وادي الرافدين يتميز بخاصية على الآداب القديمة فضلا عن خاصية القدم، و هي أن معظم تلك الآداب قد طرأ عليها التحوير عكس الأدب السومري و البابلي الذي جاء بهيئته الأصلية غير محور كما دونته أقلام الكتبة. ومما يمكن ذكره بهذا الصدد أن أدباء العراق القديم عدوا أنفسهم حديثي العهد في الحضارة و إنهم ورثاء مض مجيد متقادم العهد ، تخيلوه (عصر ذهبي) ،

---

[179] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1، ص 207.

[180] - المرجع نفسه، ص 208.

يسوده الخير و السلام . كان فيه البشر بلسان واحد يمجدون الإله انليل كما ورد في إحدى الأساطير السومرية [181].

و يمكن أن يرجح بان النصوص الأدبية تم إبداعها وإنتاجها في أزمان أقدم من عهد تدوينها، وقد تناقلتها الأجيال المتعاقبة بالرواية الشفهية، فوقع فيها الكثير من التطوير إلى أن بدأ القوم يدونوها في ألواح الطين بأشكالها النهائية.[182]

و يرى الأستاذ جورج كونتينو أنه في حين كانت فئة الكتبة ضئيلة في المجتمع الرافدي وان أغلب الناس لا يجيدون هذه المهمة الصعبة فانه يوجد إلى جانب الكاتب ما يعرف بالقصاص الذي يشبه الحكواتي في عصرنا حيث يجمع حوله في مكان عام حلقة من الراغبين في معرفة أهم أعمال الأبطال القوميين [183] . و لهذا فإن تناقل الأدب الرافدي لم يكن في كل الأحوال بواسطة الكتابة منذ بداية عهده و قد لعبت الرواية الشفهية دورا هاما في توارث القصص و الأساطير و الملاحم والأمثال مما يضفي عليها نوعا من التحوير و المبالغة إلى غاية أن تم تدوينها.

1-1- أدب الملاحم:

يختلف الأدب البابلي الأشوري إختلافا ملحوظا في صورته ومادته عن آداب الأمم السامية الأخرى، كالأساطير التي تندر ندرة بالغة بين هذه الأمم عامة، و نجدها مزدهرة في أرض الرافدين التي أفرزت أدبا شعريا رائعا لخص مغامرات الآلهة و الأبطال، لكن هذا الإختلاف عن بقية الآداب

---

[181] - طه باقر، **مقدمة في أدب العراق القديم**، ص 34.

[182]

[183] - George Contenau**, la vie quotidienne a Babylone et en Assyrie,** p196**.**

السامية يمت إلى الظاهر أكثر مما يمت إلى الحقيقة فالجزء الأكبر من الأساطير الاكدية ليست إلا نسخة جديدة من الراويات السومرية، التي تعد إذن الأساس الحقيقي لأدب أرض الرافدين، فقد كان تعظيما لروايات أسلافهم، الذين ورثوا عنهم حضارتهم، و الحق أنه يمكن القول أن فكرة الملكية الأدبية كانت غريبة كل الغرابة على عقلية الشرق الأدنى القديم و منه أرض الرافدين.[184]

وقد لعبت قوة التقاليد دورا كبيرا في الأدب، و حددت طبيعته المحافظة بل الجامدة، فالأعمال الأدبية القديمة كانت تعد قدوة لا يمكن الإتيان بأحسن منها، و لهذا كان جيل من الفنانين يطمح قبل كل شيء إلى إستيعاب خصائصها ثم إخراجها من جديد، ومن الطريف أن نلاحظ أن المؤلفين لم يكونوا يترددون في أن يكرروا مرات عدة خلال العمل الأدبي الواحد صورة أو فقرة ترضي نفوسهم، فالمحادثات أو الرسائل مثلا كانت تعاد بحذافيرها كما وردت الإشارة إليها، ويمكن أن نقول عابرين أن هذه العادة عون كبير لنا في سد فراغ النصوص الناقصة.

و مبدأ التكرار هو أيضا القالب الشعري، فهو لا يتميز بالقافية أو يقاس بالوزن، و لكن يقوم على تتابع عبارات متوازنة أي على تكرار أفكار معينة سواء كان التوازي (Parallélisme) عن مساواة (مشابهة) أو عن تضاد [185].

---

[184] - سبتينو موسكاتي، **الحضارات السامية القديمة**، تر. السيد يعقوب (الهيئة المصرية العمة للكتاب، 1997)، ص 57.

[185] - المرجع نفسه، ص 58.

ولعل إمتزاج التاريخ مع الأدب في التدوين قد شكل مزيجا يمثل قصصا أسطورية لا مثيل لها فيما سبق من الحضارات، و كان كل ما جاء بعده متأثر به ومقلداً للكثير من جوانبه. ومن أهم تلك الأساطير و القصص الأسطورية نجد: أترخايس وكلكامش ونزول عشتار إلى العالم السفلي، و آدابا، أنزو، نركال، أرشيكيجال، ايتانا، ملحمة الخليقة، أيرا، أيشوم، ثيوغينادونو، وهي جميعها وجدت على رقم طينية و نشرت باللغتين.

و لعل أهم تلك الأساطير هي أسطورة كلكامش و هي أطول وأعظم الأعمال الأدبية التي كتبت بالأكدية المسمارية فهي تروي حكاية بحث أسطوري عن الخلود [186]. و حفظت ألواح الملحمة في مكتبة قصر اشوربانيبال إلى جانب آلاف الألواح التي كانت فيها، وخلال القرن التاسع عشر ميلادي بعد إكتشاف لايارد لخبايا هذه المكتبة بدأت تظهر أهمية ألواح المكتبة بعد أن ألقى جورج سميث سنة 1872 محاضرة في الجمعية العامة الأثرية للتوراة بلندن أعلن فيها أنه إكتشف رواية أشورية عن الطوفان، وكان يعني بهذه الرواية اللوح الحادي عشر من الملحمة وكان ذلك فاتحة إهتمام العالم بها فترجمت إلى أهم لغاته[187].

لقد كانت رواية الطوفان من الأحداث التي شغلت مكاناً بارزاً في أدب حضارة وادي الرافدين ومأثرها التاريخية و بالمقابلة مع هذه الحقيقة لم يصل إلينا من حضارة وادي النيل

---

[186] -محمد عبد القادر خريبات وآخرون، **تاريخ الحضارات الإنسانية** (ط1؛ الأردن: دار الكندي للتوزيع و النشر، 1999)، ص 85.

[187] - طه باقر، **ملحمة كلكامش**، تقديم محمد حسين الاعرجي (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1995)، ص IV.

أية رواية عن الطوفان.[188]فملحمة جلجامش هي تأليف أدبي رائع، بين مجموعة نصوص سومرية قديمة تتحدث عن بطل سومري حكم الفترة النضرة الأولى التالية للطوفان. فكانت تلك الأقاصيص السومرية نواة بنت عليها العبقرية الأدبية البابلية درة من درر الأدب القديم، و حملتها الكثير من تصورات الثقافة البابلية.[189]

لقد تتابعت البعثات الأثرية على منطقة الرافدين إلى أن تم الكشف عن ألواح ملحمة جلجامش الإثني عشر، و التي تغطي أسطورة الطوفان معظم اللوح الحادي عشر منها. ورغم أن قصة الطوفان تبدو للوهلة الأولى قد أُقحِمت على أحداث الملحمة، إلا أنها في الواقع، قد جاءت في إنسجام تام مع الإيقاع المأساوي للملحمة، و أضافت إليها أبعاد و معاني خاصة، مؤكدة أن الخلود سراب لن يناله أحد من البشر.

وجلشامش أو كلكامش، بطل مدينة أوروك و ملكها، ثلثه إله، وثلثاه بشر قضى حياته في الصيد و اللهو والبطش بالناس، منتشياً بقوته الخرافية و طاقته المتفجرة. ثم يتعرف على أنكيدو، نده، وتغير الصداقة العميقة التي ربطت بينهما مجرى حياته، فيقرر تحويل قواه و طاقاته للعمل المجدي الذي ينفع الناس، يقوم الصديقان بمغامرات عديدة ذات أهداف سامية، إلا أن أنكيدو يموت نتيجة إحدى هذه المغامرات. وهنا يصحو جلجامش على المأساة الحقيقية في حياة البشر و يهيم على وجهه في الصحاري و البراري تاركاً عرشه و مملكته باحثاً عن سر الخلود و أكاسير الحياة، يدفع

---

[188] - طه باقر: **القديم مقدمة في أدب العراق**، ص173.

[189] - فراس السواح: **مغامرة العقل الأولى**، (ط11؛ دمشق: دار علاء الدين، 1996)، ص 161.

به قدر الإنسان الفاني. فهو رغم ثلثه الإلهي، فإن نسبه البشري يشده إلى القدر المشترك لبني الإنسان. وبعد صعاب و مشاق لا يقدر عليها بشر، وصل جلجامش إلى أوتنابشتيم، الإنسان الذي منَّت عليه الآلهة بالحياة الخالدة، يسأله عن سر الخلود، و كيف الحصول عليه. فيقص عليه أوتنابشتيم قصته مؤكداً أن ما حصل له هو أمر فريد لن يتكرر بسهولة لأحد من الناس، ويكشف له خبايا و أسرار واقعة الطوفان الكبير .[190]
و إلى جانب أدب الملاحم عرف الرافدين أغراضا أدبية أخرى لا تقل أهمية عن السابق ذكرها، نورد منها ما يلي:

2-**1- أدب الحكمة:**

تدخل القطع الأدبية هذه في باب الحكمة و هي تتضمن الوصايا و الحكم و الأمثال وموضوع الخير و الشر و قضية ما يصطلح عليه العدل الإلهي (theodicy) و قد خلف أدباء العراق القديم نصوصا أدبية في هذا الباب تضاهي في مستواها الأدبي و الفني و أرائها و المسائل التي عالجتها الآداب العلمية المشهورة من هذا النوع من النتاج الفكري، كما أن النصوص التي وصلت إلينا معظمها باللغة البابلية، تعتبر نصوصا مطولة بالمقارنة مع أنواع القطع البابلية الأخرى. وقد اشتهر في موضوع العدل الإلهي والخير و الشر قطعتان مهمتان تناولتا تبرير ما يحل بالعبد الصالح من محن وويلات على الرغم من أنه يلتزم التعاليم و الشعائر الدينية أو أوامر الآلهة إلا أن كلاهما يحل هذه القضية حلا يختلف عن الآخر. فالقطعة الأدبية الأولى التي يمكن أن نعنونها بـ: "أيوب البابلي" ترى أن ما

---

[190] - المرجع نفسه، ص 162.

يحل بالعبد الصالح من ويلات إنما هو امتحان و بلوى إلهية للكشف عن مدى قوة عقيدته و صبره و رضوخه لقضاء الآلهة، وقد نظمت القصيدة على هيئة مناجاة فردية (monologue) لشخص صالح متعبد نزلت به، رغم ذلك، الويلات و الكوارث. فيقول بعد مقدمة أو ديباجة لم يبق منها سوى تمجيد الإله "مردوخ": " لم أعرف في حياتي سوى العمل الصالح و العبادة، وشغلت أفكاري بالتضرع للآلهة و التضحية و التقرب إليها، وكانت أوقات عبادة الآلهة سروراً لقلبي، و الأيام التي أسير فيها في مواكب الآلهة مكسبي و نصري في الحياة، يبعث تمجيد الملك المسرة لقلبي، و الموسيقى التي تعزف له مثار غبطتي وسروري. و ألزمت أهلي وأتباعي مراعاة شعائر الآلهة و عبادتها، و علمت الجند طاعة القصر، لأن هاته الأعمال تسر الآلهة.....". [191]

أما القطعة الثانية فإنها تنطوي على التشكك والسخرية من قيم الحياة الإنسانية قي أقدار الآلهة وهي بدورها تعالج مسألة "العدل الإلهي" مع وجود الشر، ويرجح أن تاريخ تدوينها يعود إلى الألف الأول ق.م، ولكن معظم نسخها وجد في مكتبة "آشوربانيبال". و تختلف هذه القصيدة عن القصيدة الأولى التي مر الكلام عليها من حيث المحتوى و المضمون و أسلوب التأليف. فقد نظمت على هيئة حوار بين شخصين معذب مشتك و بين صديقه، أي بهيئة " ديالوك " (dialogue) في حين أن القصيدة الأولى كانت مناجاة فردية. ويتألف النص الأدبي من 27 قطعة لم يبق منها بحالة سليمة إلا 19 قطعة .[192]

---

[191] - - طه باقر: **القديم مقدمة في أدب العراق**، ص147.

[192] - المرجع نفسه، ص 151.

3-1-الأمثال:

من الأمور التي كشف عنها في السنوات الماضية نشر لمجموعة من الأمثال و الحكم و الوصايا من أدب العراق القديم في كلتا اللغتين السومرية و البابلية فقد ضل "سفر الأمثال " العبراني زمنا طويلا و هو يعد أقدم مجموعة من الحكم و الأقوال المأثورة في تاريخ الإنسان المدون، و لكن عندما أُكتشفت المدينة المصرية و تم توضيح أوجهها في غضون القرن ونصف القرن الماضيين عثر على مجموعات من الأمثال و الوصايا المصرية و هي تسبق في زمنها (سفر الأمثال التوراتي) سنين كثيرة. ولكن هذه الأمثال المصرية ليست بأي حال أقدم أمثال و حكم مدونة عند الإنسان ، فان مجموعة من الأمثال السومرية تسبق في عهدها معظم ما هو معروف من المجموعات المصرية إن لم يكن كلها بقرون [193].

وقبل مطلع القرن العشرين لم يكن يعرف أي أمثال سومرية مدونة باللغة السومرية وحدها. ولكن سبق إن نشر عدد قليل من الأمثال المدونة باللغتين أي المدونة بالسومرية مع ترجمتها باللغة الاكدية، وان هذه الأمثال جميعها تقريبا قد كتب في ألواح ترجع في تاريخها إلى ألاف الأول فبل الميلاد، بيد أن (ادوارد كييرا) نشر في عام 1934جملة من ألواح و كسر من مجموعة (نفر) في متحف الجامعة، وهي تتضمن أمثالا يرجع عهد تدوينها إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، و

---

[193] - صامويل كرايمر، **من ألواح سومر**، ص 215.

هذا يدل على أن أرباب القلم السومريين جمعوا عددا من مجموعات الأمثال والأقوال المأثورة[194].

وقد اخذ الأستاذ صامويل كريمر على عاتقه مهمة جمع و ترجمة الألواح المدونة للأمثال السومرية في متحف الشرق القديم بإستمبول منذ ذلك الوقت إلى أن أتمها في الفترة ما بين 1951 -1952م وهي تقارب نيف و ثمانين لوحاً، كما واصل نفس المهمة عند عودته إلى متحف الجامعة بكاليفورنيا الذي يحتوي مئات الكسر المتضمنة للأمثال و الحكم[195] .

و مما يقال عن هذه الأمثال بوجه عام أنها مثل الأمثال الأخرى في آداب الشعوب يصعب فهم الكثير منها حتى و لو كانت مفهومة من الناحية اللغوية لأنها مثل سائر الأمثال جمل قصيرة، مقتضبة و مركزة المعنى، تعبر عن تجارب و حالات خاصة في المجتمع كما أن الكثير منها نشا من واقع أو حوادث قيلت فيها تلك الأمثال. على نحو ما هو معروف في الأمثال العربية [196]. و أهم ما تتميز به هذه الأمثال بوجه عام أن مضمون عامة ودالة، فقد جمعت و دونت قبل نيف و خمسة وثلاثين قرنا والذي لاشك فيه أن كثيرا منها تداولته الألسنة بالرواية الشفهية قبل أن يدون بقرون كثيرة. و من الأمثلة التي نأخذها من هذه الأمثال نورد ما يلي:

مثلا نجد المشتكي الباكي يعزو كل إخفاق له إلى القضاء و القدر و يضل يشكو قائلا:

(لقد ولدت في يوم نحس)[197] .

---

[194] -المرجع نفسه، ص 216.

[195] - نفس المرجع، ص 216.

[196] - طه باقر، **مقدمة في أدب العراق القديم**، ص 157.

[197] - صامويل كرايمر، **من ألواح سومر** ، ص 217.

و كما هو حادث في زماننا فان الارتباك و الاضطراب في الشؤون الاقتصادية يسبان القلق لكثير من الناس، و قد عبر القدماء عن ذلك بقولهم: (كتب علينا الموت فلننفق)
(وما دمنا نعيش عمرا طويلا فلنقتصد)
وكان ببلاد سومر فقراؤها الدائمون مع همومهم و متاعبهم الدائمة و قد أوجز ذلك إيجازا بديعا في مقارناته:
(خير للفقير أن يموت من أن يعيش)
(فإذا حصل على الخبز عدم الملح)
(و إذا كان لديه الملح عدم الخبز)
(و إذا كان لديه اللحم فيكون قد فقد الحمل)
(و إذا كان عنده الحمل يكون قد فقد اللحم)[198]
و هنا مثل آخر يقال عمن يريد أن لا يكون اقل من جاره:
(من شيد كما يشيد السيد، عاش كالعبد ومن بني كما يبنى العبد عاش كالسيد).
وعن الحرب و السلم اوجد السومريين امثلا عديدة منها :
(الدولة الضعيفة في العدة و السلاح يمكن أن تطرد العدو من أبوابها).
و جاء في أمثالهم : (تذهب فتستحوذ على ارض العدو و يتأتي العدو فيأخذ أرضك)[199].

هذه الأمثال تعتبر مؤشرا هاما على مستوى الوعي لدى المجتمعات كما أنها تعتبر رافدا من روافد المعلومات التي تخبرنا عن حالة المجتمع في قوالب مختلفة تتراوح بين الهزل والحكمة ويظهر في هذه الأمثال حالة الصراع السياسي الذي

[198] - المرجع نفسه، ص 218.
[199] - المرجع نفسه ، ص 223 .

كانت تعيشه المنطقة إذ جعلت من الحروب إحدى المواضيع التي تناقشها ،كما الأمثال في حد ذاتها تعتبر تطورا و رقيا في مستوى اللغة و فنون التعبير.

4-1- أدب المناظرة و المفاخرة :

من المواضيع الأدبية التي كشف عنها البحث الحديث في مدونات حضارة وادي الرافدين نوع من الحوار ما بين متفاخرين أو متناظرين (disputation) وقد جاءت ألينا جملة قطع أدبية في اللغتين السومرية و البابلية و المرجح كثيراً أن هذا الضرب من الأدب يرجع إلى الأدباء السومريين، وأنه حتى القطع التي ألفت بالبابلية لم تكن سوى محاكاة لأصول سومرية، و أن المصطلح الذي وضع لهذا النوع من الأدب العبارة السومرية التي تتركب من كلمتين هي (أدمن –دوكا)، (DU-GA-ADMAN).

يورد الأستاذ كريمر في كتابه من ألواح سومر بان هناك نصوصا لسبع قطع من هذه المناظرات الأدبية و هي إما كاملة أو بهيئة جزئية و لكن لم يدرس من هذه القطع دراسة كاملة مفهومة حتى الآن سوى ثلاث مناظرات ، إحداها المناظرة بين(الماشية و الغلة) ، أما القطعة الثانية فيمكن تسميتها (الصيف و الشتاء : انليل يفضل الإله الفلاح) . وهي من أطول المناظرات، و متى أمكن جمع نصها كله من أجزاء الكتابات المتيسرة لنا فستكون على ما يرجح خير مصدر يبين لنا أساليب الزراعة التي كانت تمارس في الأزمان القديمة [200] .

[200] - صامويل كرايمر، **من ألواح سومر** ، ص 226.

أما المناظرة الثالثة فيمكن أن يكون عنوانها (طلب يد أنانا)، و هي في بنائها و تركيبها تختلف عن التأليف المألوفة من الأبواب الأدبية الأخرى، أنها ألفت على هيئة تمثيلية صغيرة تتضمن عددا من أشخاص الرواية الذين عين لكل منهم دوره من الكلام في موضع خاص من الرواية، و لذلك فلا توجد لها مقدمة أسطورية (ميتولوجية) و فضلا عن ذلك فان عماد القصيدة لم يوضع بشكل مناظرة بل أن قوامه كلام مطول لا يقاطعه احد يتفوه به احد أشخاص الرواية، و عندما يرى أنهم لم يقبلوه ما قاله و يرفضون حججه تأخذ في تعداد صفاته و ميزاته العظيمة [201].

لقد بين الأستاذ طه باقر عناوين القطع السومرية كالآتي :

1- المناظرة ما بين الصيف و الشتاء (ايمش و اينتن)

2- المناظرة ما بين الراعي و الفلاح (ديموزي و اينكملو) .

3- المناظرة ما بين الطير و السمك .

4- المناظرة ما بين الفأس و المحراث .

5- المناظرة ما بين الفضة و البرونز[202] .

6- المناظرة ما بين الشجرة و القصبة .

7- المناظرة ما بين آلهة القمح و الماشية.

كما أضاف الأستاذ طه باقر في كتابه مقدمة في أدب العراق القديم عناوين القطع البابلية وهي[203] :

1- المناظرة ما بين النخلة و شجرة الأثل .

2- المناظرة ما بين الشعير و القمح .

---

[201] - نفس المرجع، ص 230.

[202] - طه باقر، **مقدمة في أدب العراق القديم**، ص163.

[203] - المرجع نفسه، ص 164.

3- المناظرة ما بين الثور و الحصان .
4- المناظرة ما بين النسر و الحية.
5- المناظرة ما بين الكلب و الذئب .

لقد ذهب الباحثون في تفسير منشأ هذا النوع من الأدب إلى أن مثل هذه المناظرات كانت تتلى ما بين متحاورين أو متفاخرين في أثناء الاحتفالات و الأعياد في بلاطات الحكام و الملوك، ولعل الحاكم أو الملك نفسه كان يمثل الإله الحكم الذي كان يحتكم إليه المتناظرون، و تشابه الأساليب المتبعة في تأليف هذه المفاخرات في النصوص السومرية و البابلية في مقدمتها و مضمونها و خاتمتها[204].

2- التـــاريخ:

انطلق كتاب الأدبيات في العراق القديم في تصورهم الكون و التاريخ من منطلقات غيبية أو مثالية حيث اعتقدوا أن أسباب التحولات التاريخية أنما تعود إلى إرادة الآلهة أو إلى نشاطات الملوك و الحكام والقادة، فخلق الكون و البشر و تقدير مصائرهم و أحداث الفيضانات و الأوبئة و الزلازل و البرق و ثورانات البراكين و الزوابع و المجاعات و الحرب و السلم و النصر و الهزيمة وتسيير التاريخ هي من صنع الآلهة.

بدأ الكتاب يجمعون الأحداث و يضعونها في سلسلة متصلة و يؤرخون بها للملوك منذ تقلدهم السلطة، و لم تكن الأحداث تشتمل أخبار الحملات الحربية و نشاط الملوك العمراني و حسب بل تضمنت كذلك تعليقات و حوادث مهمة و مفيدة. و المدونات التاريخية مهمة لا من حيث ذكر الحوادث فحسب بل

---

[204] - المرجع نفسه، ص 162.

من حيث تتابع الملوك و تحديد عدد السنين التي حكم فيها الملك ثم عدد السنين التي حكمت فيها الأسرة المالكة (سلالة هذا الملك). و يجمع كل ذلك ليكون عندهم أثبات (قوائم أو جداول) الملوك و السلالات.

و قد تناهت ألينا من هذا الإثبات نماذج مهمة، من بينها جداول مطولة بأسماء السلالات و ملوكها الذين حكموا في العراق منذ ما قبل الطوفان حتى زمن تأليفها[205] الذي يعود إلى حدود منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد 2500 ق.م، و قد عرفت هذه الكتابات بالكتابات الرسمية والملكية عند المختصين فهي تسجل أعمال الحكام و الملوك بسومر، كبناء المعابد وتقديم القرابين للآلهة و غير ذلك من أعمالهم السياسية و فتوحاتهم العسكرية. و بعض كتابات هذا العصر الذي يعرف بين المختصين بالمسماريات بعصر ما قبل سيرجون طويلة نسبيا مثل النصوص التي جاءتنا من سلالة لكش الأولى و منها النص المدون على مسلة النسور للأمير ايانا تم و النص العائد إلى الأمير انتمينا و كلاهما يتعلق بالصراع بين مدينتي لكش و أوما و ما يذكر في هذا الشأن نص إصلاحات أوروأنمكينا[206](أوركاجينا سابقا) آخر ملوك هذه السلالة. و بحوزتنا نصوص ملكية كثيرة من المرحلة اللاحقة لسلالة لكش الأولى، نذكر منها نص الملك أوكال زاكيزى الخاص بإنجازاته السياسية و فتوحاته العسكرية، و هناك أيضا كتابات عديدة لملوك السلالة الأكدية عسكريا و اقتصاديا، و جدير بالذكر أن كتابات الملوك الأكديين دونت باللغة الأكدية، لكن كثير من الأسماء و الجمل الفعلية كتبت بالطريقة الرمزية السومرية،

---

[205] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 338.

[206] – فاضل عبد الواحد علي، **من سومر إلى التوراة**، (ط2؛ القاهرة: سيناء للنشر، 1996)، ص 98.

و هناك نصوص أخرى ثنائية اللغة أي أنها مكتوبة بالأكدية و السومرية[207] . وقد استمرت هذه العملية خلال العهود اللاحقة للإمبراطورية الأكدية و في العد البابلي والآشوري فيما بعد.

و قد خلف لنا الأكديون و البابليون نماذج أخرى من التدوين التاريخي و هي (النقوش والكتابات التاريخية) التي هدف منها تمجيد مآثر الملوك والأمراء و حروبهم ونشاطهم العمراني، فدونوها على الحجر و الأنصاب و التماثيل و ألواح الطين[208] . و كان ملوك بلاد الرافدين يعمدون إلى اتخاذ حادثة معينة شهيرة أساسا لتأريخ الحوادث في سنة وقوع هذه الحادثة الشهيرة و ضل الحال كذلك إلى نهاية عهد الأسرة البابلية الأولى تقريبا ثم عدلوا عن ذلك إلى تأريخ الحوادث بالنسبة إلى عهد الملوك[209] ، من بين الحوادث الشهيرة التي استعملت كمعلم للتأريخ هي الطوفان فقد دأب كتاب الإثباتات على تقسيم تاريخ العراق إلى عهدين هما :

التاريخ العتيق وهو ما سبق الطوفان، و التاريخ القديم و يبدأ عندهم بعد الطوفان[210] . و بعد عودتهم للتاريخ للحوادث بالنسبة إلى عهد الملوك استمر الحال بهذه الطريقة إلى غاية العهد الآشوري.

يعتبر العصر الآشوري الحديث بالخصوص بين (900 إلى 612 ق.م) من أغنى العصور بالكتابات التي تتضمن في المقام الأول منجزات الملوك الآشوريين خاصة العسكرية منها و العمرانية، يجد الباحث في هذه الوثائق الآشورية معلومات مهمة حتى عن

---

[207] - المرجع نفسه، ص 99.

[208] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 338.

[209] - أبو المحاسن عصفور، **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم**، ص 246.

[210] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 338.

البلدان المفتوحة كما أنها تسلط الضوء على السياسة التي اتبعها الآشوريون مع أقوام تلك البلدان و على أساليبهم الإعلامية وخططهم العسكرية[211] .

لقد تميزت نصوص الآشوريين بتركيزهم على الفتوحات التاريخية وما قام به الملوك من الحروب وما شنوه من حملات و ما حكموه من بلدان وما غنموه من غنائم و كنوز- **أنظر الملحق رقم 18ص 165**- نجدها محشوة بالإفتخارات و الادعاءات و التخيلات الخرافية و التفسيرات الدينية و التهويلات و المبالغات الكثيرة. ومن هنا يمكننا تحديد أربعة أنواع من المدونات التاريخية الآشورية:

أولا: الحوليات:

وفيها رتبوا الأحداث عاما بعد عام إما بترتيب سني الملوك و إما بترتيب نظام التاريخ الدوري (الليمو)[212] . وكانت طريقة الاختيار بترتيب الوظائف الكبرى في الدولة ترتيبا تنازليا، يبدأ بعد الملك بالوزير ثم الالترتانو و كبار رجال البلاط و الحكومة المركزية ثم كبار ولاة الأقاليم و يليها كل منهم عاما واحدا بعد عام الملك الذي يبدأ باعتلائه العرش، حتى إذا انتهت القائمة و طال حكم الملك أكثر من ثلاثين عاما بدأ التاريخ باسمه مرة ثانية و يعود الترتيب التنازلي بعده من جديد.

و قد يكتفي صاحب اللوحة الآشوري بذكر اسم صاحب الليمو، أو يضيف منصبه إليه أو يضيف إليه اسم حادثة مهمة حدثت في عامه، من هذا القبيل أن أرخت هبة عقارية من عهد اشوراوباليط (1363-1328 ق.م) بشهر كيناته، اليوم السادس،

---

[211] - فاضل عبد الواحد علي **من سومر إلى التوراة** ، ص 99.

[212] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 338.

ليمو "أدادناصر" ثم وقعت بخاتم ((أشور اوباللي ملك أشور ابن أربيا أداد))[213].

ومن هذه الحوليات نجد أيضا الحوليات الخالدة (حوليات شلمنصر الثالث) على مسلته المشهورة التي نقشت بأخبار واحد وثلاثين عاما من حكمه و لا سيما فتوحاته في أنحاء الشرق الأدنى القديم، فمثلا تبدأ أخبار حملته الأولى التي جردها في اليوم الثالث عشر من شهر أيار على المناطق الواقعة إلى الشرق من دجلة و هي تتضمن تفاصيل بعض البلدان و الغنائم التي حصل عليها الجيش الآشوري و قد فعل جامعوا الحوليات الشيء نفسه لسنة حكمه الثانية و السنوات الأخرى اللواتي تليها، و جدير بالذكر أنهم دونوا على (المسلة السوداء) الشهيرة و التي تعود لهذا الملك أخبار إحدى و ثلاثين سنة من سنوات حكمه اللواتي بلغت أربعة وثلاثين و هناك حوليات أخر لملوك آشوريين سبقوا أو لحقوا هذا الملك و لاشك في لن هذه الحوليات تشكل و هي مجتمعة سجلات متكاملة بأخبار الدولة الآشورية.

ثانيا: مدونات تاريخية حربية[214] :

و يشار فيها إلى ما قام به الملك من حملات حربية و ما حصل عليه من جزي،- **أنظر الملحق رقم 19 ص 166**- حيث كان ملوك الآشوريين معتادين على تدوين أخبار حروبهم التي كان يصحبهم فيها مؤرخون رسميون لتدوين أخبار تلك الحملة، و كان الغرض من تدوينها تمجيد الملك و الإشادة به[215] .

---

[213]- عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم**، ص 765.

[214] - فاضل عبد الواحد على، **من سومر إلى التوراة** ، ص 100.

[215] **-** برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 338.

ثالثا: التقاويم:

و تجمع فيها الأحداث طبقا للأقاليم التي تمت فيها، فمثلا أنهم ذكروا كسوفا للشمس أمكن بالحساب الفلكي تحديد وقت حدوثه بالدقة في 15 يونيو 763 ق.م، و كان هذا من الأمثلة التي ساعدت على ضبط تاريخ الآشوريين بالنسبة للتاريخ الميلادي[216] .

رابعا: التقارير:

وهي الكتب و الوثائق و الألواح الموجهة إلى الإله أشور بعد العودة من الحملات كتقرير عنها[217]. وقد كان ملوك الآشوريين يدونون أخبار حروبهم بهيئة رسائل يرسلونها إلى كبير الآلهة، فمثلا يبدأ الملك (سرجون الثاني) رسالة إلى الإله أشور بتحية هذا الإله و تحية الآلهة الآخرين كما يحي المدينة و سكانها ثم يسرد أخبار حملته بالتفصيل[218] .

إن هذه الحوليات و كل الكتابات الملكية السومرية و البابلية التي جئنا على ذكرها قبل ، تمثل أهمية كبيرة بالنسبة للباحث المعاصر لأن فيها معلومات قيمة عن تاريخ الأجداد و منجزاتهم في العصور القديمة لكنها مع ذلك لا تمثل بالضرورة تدوينا للتاريخ وفقاً للمعايير العلمية المتعارف عليها و التي من أبرزها النقد و التحليل ، حيث يكمل الأستاذ لاسو في معرض حديثه عن المؤرخ الآشوري : " إن التاريخ الآشوري يعني في المقام الأول عند البابليين و الآشوريين أخبار الملوك و منجزاتهم في بلاد أشور على سبيل المثال ، كانت مآثر الملك تحتل مركز الصدارة

---

[216] - أبو المحاسن عصفور، **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم** ، ص 247.

[217] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 339.

[218] - أبو المحاسن عصفور، **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم** ، ص 247.

ذلك انه في كل أعماله و تصرفاته كان يمثل الإله أشور و يتفقد مصالحه ، أن هذه الحقيقة ينبغي أن يكون المعيار الذي يستخدم بموجبه هذه النصوص كمصادر تاريخية ، فالكتابات الرسمية لم يكن ينظر إليها قط على أنها تاريخا مكتوبا ذلك لأنها لم تؤلف بقصد تعريف الخلف بمنجزات السلف فعندما نقرأ هذه النصوص فإننا نصغي في الواقع إلى حديث على مستوى الهي.

و لا شك في أن مؤلفي الحوليات و الكتابات الملكية كانوا من موظفي القصر و من المتمرسين في فنون اللغة و الكتابة، كما يظهر ذلك جليا من أسلوبها النثري البليغ المميز لها. علما بأن هناك ما يشير إلى أن مثل هؤلاء الكتاب كانوا يرافقون الملك في حملاته[219] . -**أنظر الملحق رقم 20، ص167**.-

أما في مجال التاريخ Historiography أي تدوين الأخبار التي وقعت في عصور سابقة لهم بهدف إيصالها إلى الأجيال القادمة ليطلعوا على منجزات أجدادهم ممن عاشوا قبلهم في هذه البقعة فيلتمس الباحث في النصوص المسمارية شيئا من الحس بأهمية التاريخ عند العراقيين القدماء من خلال تأكيدهم على أهمية تخليد الذكر zikaru في الأكدية و ربط البحث و التنقيب عن أخبار العصور الماضية بالإفادة من عبر الدنيا و الاتصاف بالحكمة و معرفة خفايا الأمور و أسرارها و من ثمة تدوينها ليطلع عليها اللاحقون من الناس، فنحن نقرأ في ملحمة البطل جلجامش:...هو الذي رأى كل شيء فغنى بذكره يا بلادي و هو الذي عرف... الخ[220] .

---

[219] - فاضل عبد الواحد علي، **من سومر إلى التوراة** ، ص 100.

[220] - المرجع نفسه، ص 103.

و يتجلى اهتمام الكتاب و المؤرخين القدامى بالشخصيات التاريخية الذين برزوا على مسرح الأحداث في البلاد من خلال تأليف الملاحم التاريخية Historical Epic التي تسجل مآثر و بطولات مشاهير الملوك و يتحدث عن شجاعتهم في مواجهة التحديات التي تعرضت لها البلاد و أغلبية هذه الملاحم أو القصص مكتوب باللغة السومرية و يعود إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد.[221] و هنا يمكننا أن نشير إلى انه لم ينفرد الكتبة الآشوريون في براعة وصف المعارك و القتال، لان زملاءهم الكتبة البابليين خلفوا لنا أيضا نماذج من النثر الشعري في تصوير زحف الجيوش وأهوال السير و احتدام المعارك، نذكر على سبيل المثال الحملة الحربية التي دونها الملك البابلي (نبوخذنصر) الأول (1124-1103ق.م) في غزوة بلاد عيلام ، و قد دونت أحداثها في ما يسمى أحجار الحدود (كودور)(Kudurru) وقد تضمن النص بالإضافة إلى القطائع و الامتيازات التي منحها هذا الملك إلى احد قواده المسمى " رتى- مردوخ " وصفا أدبيا متمعنا نقتبس منه العبارة التالية : ((من دير* مدينة الإله "آنو" المقدسة ، قفز مسافة ثلاثين بيرو(ساعة مضاعفة) ، و سار في الطريق شهر تموز ، لقد اخترقت النصال و توهجت كأنها النار، و توهجت أحجار الطريق كأنها الأفران الحامية ، جفت الآبار و ترنح حتى الأبطال الشباب ، و رغم ذلك سار في الطريق قدما الملك المختار ،اصطفى و المسند من الآلهة اجل ،حث الخطى نبوخذنصر الذي لا يضارعه أحد ...))[222] .

---

[221] - المرجع نفسه، ص 105.

[*] - **دير** مدينة تدعى ((دور – ايلو)) اشتهرت في العراق القديم تقع بقاياها على حدود العراق مع إيران.

[222] - طه باقر، **مقدمة في أدب العراق القديم**، ص 65.

لهذا تعتبر النصوص الملكية و الحوليات قطعا أدبية رائعة تتضمن براعة في الوصف و التصوير مثل الأماكن و المشاهد الطبيعية كالجبال و الغابات و الأهوار و البوادي و الصحاري و التصوير البارع لاحتدام القتال و المعارك و اشتراك الآلهة بالقتال في بعض تلك المعارك على غرار ما نقرؤه في الملاحم البطولية في الأدب اليوناني[223] .

3- الجغرافيا:

كانت العلاقات التجارية ببلاد الرافدين و التي تمتد جذورها إلى عصور ما قبل التاريخ قد غطت مناطق و بلدان قاصية و دانية ، فمن أواسط آسيا الصغرى شمالا إلى الخليج العربي و الجزيرة العربية جنوبا و من وادي السند و بلاد فارس في الشرق إلى بلاد الشام و سواحل البحر المتوسط غربا . وقد تناولت النصوص المسمارية طرق المواصلات البرية و المائية ،

[223] - المرجع نفسه، ص 63.

و أمدتنا بتسميات البحار و الأنهار و المدن و القرى الواقعة على تلك الطرق [224].

جاءنا من بلاد ما بين النهرين كثير من الوثائق الجغرافية، يتعلق معظمها بما نسميه الجغرافيا التاريخية.وبعض هذه الوثائق فيما يبدوا قوائم للأقاليم، كما في الثبت الخاص للملك سرجون، وبعضها شروح و تعليقات جغرافية بالسومرية الآكادية لاستعمال الكتبة و بعضها الآخر مراشد للسفر أو وثائق لأغراض إدارية .[225]ومما يوجد في الثبت الخاص بفتوحات سرجون الاكدي نقتبس النص التالي : " مسيرة 120 ساعة مضاعفة* بين منابع الفرات و بلاد " ميلوخا" و "مكان" . الحدود التي فتحها سرجون ملك العالم ، على البلاد المغطاة بالسماء . الحدود التي حددها بالقياسات التي ثبتها "[226] .

و تقدم بعض القوائم أسماء المدن و الأنهار و الجبال، رتبت تبعا لترتيب جغرافي نستطيع تتبعه بسهولة و في بعض الأحيان نجد أن علاماتها تأخذ طابعا تطبيقيا(خاص بالكتبة). [227]

و الواقع انه كلما تغلب حاكم على إقليم من الأقاليم الواسعة فانه يكون بحاجة إلى وسائل جغرافية متنوعة لتوجيه أعمال موظفيه.[228]

و قد اتسعت معلومات العراقيين الاقدميين عن جغرافية الشرق القديم منذ أقدم الأزمان بالتجارة و الفتوح الخارجية و

---

[224] - مجموعة مؤلفين ، حضارة العراق(بغداد ، 1985)، ج2 ، 279.

[225] - ? جورج سارتون ،**تاريخ العلم**، ج1، ص185.

*- الساعة المضاعفة هي الساعة البابلية التي كانت تساوي ضعف زمن الساعة الحالية . ويقصد هنا بالساعة المسافة التي يقطعها الإنسان و ليس الوقت .

[226] - مجموعة مؤلفين ، حضارة العراق ج2 ، 282.

[227]- Joachim Menant, **la bibliotheque du palais de Ninive**, (Paris: Ernest Leroux, 1880) p91,92

[228] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1 ، ص185.

الأسفار و قد عرفوا أجزاء مهمة من جزيرة العرب و لاسيما البحرين و سموها (دلمون) و عمان (مجان) و (ملوخا) و لعلها بلاد الحبشة و وصلوا بفتوحهم و لا سيما في الزمن الأكدي إلى جهات بعيدة كل هذه المناطق ألفوا لها أثباتا كما سبق ذكره ، و من ذلك ثبت مطول وجد في أثناء تنقيبات مديرية الآثار العراقية في تل حرمل .وجاءتنا نماذج من هذه المؤلفات الجغرافية سبق و أن اشرنا إليها. و من الجداول التي تدخل ضمن المؤلفات الجغرافية قوائم قديمة نظمت لأغراض إدارية أي تعداد المدن و المواضع لغاية جمع الضرائب و الإدارة. و من الجداول الجغرافية التي أُلِّفت لأغراض علمية مفيدة مؤلفات بأسماء الأقاليم و المواضع المهمة لتسهيل الأسفار و تعريف المسافات فيما بينها .[229]

و رسموا خرائط للمدن و القنوات و للعالم المعروف لديهم. و لعل أقدم خريطة تناهت إلينا من هذا النوع خريطة مدينة نقر (نيبور) التي يعود تاريخها إلى الألف الثاني قبل الميلاد و من ذلك مصور لمدينة سيبار و أخرى بمدينة بابل، وصلتنا خريطة مفردة للعالم الذي يمثل على شكل دائرة مسطحة في وسطها نهر الفرات آتية من الجبال الشمالية و يصب في منطقة الأهوار في الجنوب، و وضعت قرب مركز مدينة بابل و في جانب منها بلاد أشور، و علمت مواضع المدن بدوائر و وضعت بوسطها أو بقربها أسماء تلك المدن. أما المثلثات المستقرة خارج محيط الخارطة فتشير إلى الأقاليم الأجنبية أما التاج الدائري فيمثل النهر أو البحر الملح الذي يحيط بالعالم حيث يمتد النفوذ البابلي،

---

[229] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ص327.

و من بين الأراضي الواقعة فيما وراء المحيط واحدة في الشمال (حيث لا نرى الشمس) ويعلق ديلابورت على ذلك قائلا:
(افنستطيع من وراء ذلك أن نقر أن البابليين، والخريطة المذكورة من العهد البابلي الأخير، عرفوا الأقاليم القطبية) و لعل هذه الخريطة تعكس اعتقادات العراقيين القدامى بان الأرض اله مولود من المحيط الأزلي، لذلك تصورا أن اليابسة تحيط بها المياه من جميع الجهات، و اعتقدوا أن البحار ناتجة من تدفق المحيط الكبير الذي يلف الأرض النافرة بأكملها كما تصوروا الجهات الأربع عبارة عن فضاء خارجي فسيح .[230](**أنظر الملحق رقم21و22، ص151** ، 152)

[230] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص340.

الفصل الرابع:
إسهام البابليين و الأشوريين في العلوم البحتة

شاعت في بلاد الرافدين القديمة الكتابة، و اتسعت فيها فئة الكتبة و ازدهر فيها التعليم، و تخصص فيها الكتبة و تميزوا بأنهم كتاب و نساخ ، وهكذا أصبحت المدارس دوراً للتعليم و مؤسسات توفر الأعداد الواسعة من النساخ و المتعلمين و المثقفين .

فإذا كان هذا الحراك المتسارع هو ما يميز عملية التدوين، فهل يكون مصحوباً بتطور على الصعيد العلمي ، علماً أنه أنتج قطعاً أدبية رائعة و ترك تراثاً أدبياً زاخراً ؟

بالنظر إلى المنجزات التي عرفتها بابل و نينوى في أوج ازدهارهما كما رأينا في الفصل الأول فلا بد و أن هناك تطور على الصعيد التقني خاصة فيما يتعلق بالإنجازات مما يوحي بأن الهندسة كانت على مستوى معين ، فيما توجد الكثير من المعاملات التجارية و البنكية تدل على تطور ملموس في الفروع الأخرى من الرياضيات .

و كغيرها من المجتمعات الأخرى عرف المجتمع العراقي القديم الأمراض و حاولوا علاجها وشغلت النجوم و الأفلاك على عهدهم جانباً هاماً من حياتهم خاصة ما يتعلق بشؤون العبادة و الحكم ، لذا نحاول من خلال هذا الفصل دراسة الحياة العلمية التي عرفتها المنطقة خاصة في الطب و القوائم و الرياضيات و التنجيم .

1- الطب:

يعود الفضل لعلم الآثار الذي مكن من العثور على عشرات من الرقم الطينية التي دونت لنا معارف الرافديين بالطب و غيره من المعارف المرتبطة به .

ربما أن الغريزة الإنسانية في الدفاع عن النفس و دفع الأذى عن الأقربين قد دفعت الإنسان منذ القدم إلى تجربة ما تجود به الطبيعة من نباتات و حيوانات و أحجار و معادن بالإضافة إلى ممارسة الطقوس الدينية و السحر ، أضف إلى ذلك رصد حركات و أفعال بعض الحيوانات في معالجة نفسها . وبظهور التدوين وانتشاره زاد معارف الإنسان المتعددة من بينها معارفه بالطب الذي وصل إلى مرحلة راقية إبان العهد البابلي القديم شانه شان العلوم الأخرى التي ازدهرت في هذه الفترة و الفترات اللاحقة . [231]

وما يقال عن الطب القديم أن الرافديين مع ما وصلوا إليه من معلومات مهمة بالأمراض و تشخيصها و معرفة العقاقير و تركيبها و أشياء عن جسم الإنسان و الجراحة، فإن الطب عندهم بقي يخالطه الكثير من العمليات السحرية، كإستعمال الرقى و التعزيم، و منشأ ذلك بالدرجة الأولى للإعتقاد بمصدر الأمراض التي تسببها الشياطين و الأرواح.[232] و بذلك تولدت أصول الطب عند العراقيين القدماء من المعارف العلمية و المعلومات الشعبية عند الناس و كذلك من السحرة الذين لم يقتصروا في طرد الأرواح على الرقى بل استعملوا العقاقير لأنهم كانوا يرون

[231] - مجموعة مؤلفين ، حضارة العراق(بغداد ، 1985)، ج2 ، 326.

[232] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص365.

أن الأدوية تقتل الشياطين، أو تضطرها على الأقل إلى مغادرة الجسم [233].

و مصدر الطب عند العراقيين القدماء مثل غيره من المعارف البشرية الأخرى من الآلهة فهم يرون في الأمراض أنها عقاب وقع من الآلهة على الناس بسبب خطاياهم، و الخطيئة هنا لا تعني فقط الجريمة و إنما أيضا في اغلب الاحيان التجاوز الغير مقصود للمحرمات. [234] فهم يرجعون للآلهة فن الشفاء و التطبيب. وكان الإله الذي خصصوه للطب و الأطباء هو الإله الحكيم (آيا) و الذي له علاقة بالماء و انه كان سيد المياه، و لهذا السبب و لأنهم استعملوا المياه في الطب فقد سموا الطبيب بكلمة معناها العارف بالماء (و باللغة السومرية – آزو-) و منها الكلمة البابلية (آسو)، التي استعملت في معظم اللغات السامية و منها الكلمة العربية (الآسي). كما انه للطبيب اسم آخر هو (يازو) بالسومرية و معناه العارف بالزيت. و من الآلهة التي خصصوها بالطب والأطباء أيضا الإله المسمى (ننازو) و معنى اسمه سيد الحكماء و الأطباء، و له ابن خاص كذلك بالطب هو الإله (ننجشزيدا) [235]. و يمكن حصر طرق العلاج عندهم بثلاث وسائل هي:

العلاج الطيب و ما يتعلق به من عقاقير و تمريض، العمليات الجراحية، الرقى و التعزيم لطرد الأرواح و الشياطين التي تسبب الأمراض[236] . و أما فيما يتعلق بالمرض الذي ينظر إليه

---

[233] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق**، ص 350.

[234] - Georges Roux, Op cit, p441.

[235] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 366.

[236] - المرجع نفسه، ص 367.

الإنسان الرافدي انه تسببه الشياطين فنجد أن الطبيب الكاهن هو الذي يتدخل حيث يلجأ إلى تلاوة الرقى السحرية و هنا نموذج من هذه الرقى التي كان على المريض أن يكرر تلاوتها:

" إليك عني، إليك عني، ابتعد عني
اخجل، اخجل و انصرف عني
ادر ظهرك و اذهب ابتعد عني
ليصعد شرك كالدخان
لا تعد إلى جسدي
إلى جسدي لا تقترب
لا تقترب مني و لا تصب جسدي بأذى". [237]

و هناك نص خاص بالمعزم الذي يزور المريض نقتبس منه ما يلي:

" إذا رأى المعزم كلبا اسودا أو خنزيرا اسودا سيموت المريض "
" إذا رأى المعزم خنزيرا ابيضا فسيعيش المريض "
" إذا سقطت أفعى على فراش المريض فسيشفى ذلك الرجل المريض "
" إذا سقطت عقرب على مريض فانه سيموت في اليوم العاشر "
" إذا لازمت عقرب من غير انقطاع وسادة مريض فان مرضه سيتركه "[238] .

و في شعر على آجر من نينوى يصف لنا مريض بائس يعاني الألم المستمر (ربما من داء المفاصل) بهذه العبارات المؤثرة:

" خرج الشيطان البغيض من مخبئه

---

[237] - فليب حتي، **موجز تاريخ الشرق الأدنى**، تر، أنيس فريحة (بيروت: دار الثقافة)، ص 82.
[238] - مجموعة مؤلفين ، حضارة العراق، ج2 ، 331

استحالت صفرة المرض إلى بياض
أصاب ألمُ عنقي، قسم ظهري
حتى قامتي، لواني، فاني شجرة الحور
و كنبتةٍ في مستنقع اقتلعت من الجذور
استلقيت على ظهري
صار البيت سجني
ارتخت يداي فأصبحت كأغلال جسدي
مددت قدماي فأصبحت للطير مهبط الجناح
آلمني اليأس، صرعني الألم
سوط مجدول يلهب جسدي
حربة حادة تخزني
معذبي لا يزيلني النهار كله
تمزقت مفاصلي، التوت عظامي."[239]

وإذا كان فن العلاج و الشفاء من الآلهة فان الآلهة أيضا مصدر للأمراض لأنها خالقة كل شيء من خير و شر، كما أن الأمراض إنما كانت مظاهر أو أمارات على سخط الآلهة على البشر، و لذلك فالدواء الصحيح الشافي يكون في ترضية الإله و تسكين غضبه، أما العلاجات فقد تفيد في تسكين الداء و التخفيف من شدته و لذلك فقد كان الطبيب كاهنا في الوقت نفسه، أي انه عدا استعماله للعقاقير و الأدوية المسكنة فانه يقوم بالتعازيم و السحر و استعطاف الآلهة و طرد الأرواح الخبيثة والمسببة للمرض بسبب إثم المريض و سخط الآلهة.[240]

---

[239] - فليب حتي، **موجز تاريخ الشرق الأدنى** ، ص 82، 83

[240] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص367.

و لا يبعد الباحث عن الواقع إذ هو اعتبر الطب البابلي (ثيوقراطيا)، كما أن الطبيب يصبح كاهنا و مع انه يبدوا منفصلا في عمله عن الكاهن، فالمرجح أنهما كانا يعملان معا الطبيب الكاهن والكاهن الطبيب لكي تكون إعادة المريض إلى الصحة أمرا مضمونا. و قد اختلط المرض و الرجس و الإثم في عقل المريض و عقل الطبيب و مع أن الآلهة هي التي كانت ستجلب المرض فمن الممكن كذلك أن يصدر المرض عن الشياطين أو بسبب(العين الشريرة) أو (بالمغناطيسية الحيوانية) التي يتصف بها بعض الناس الآخرين. و مع أن الإيمان بقوة الشياطين أو النسوة الساحرات يناقض القوة الإلهية، فالمعتقدات الدينية القريبة من الأوهام والخرافات تكون متناقضة بوجه الضرورة. و إذا سلمنا بالأصل الإلهي و الشيطاني للأمراض، فلا ينتظر أن نجد طرق تشخيص المرض و تعيينها مستندة إلى أسس فيزيولوجية، بل المنطق أن تكون مؤسسة على العرافة، وسار البابليون على هذا النحو، و لم يكونوا هم وحدهم كذلك بل أسلافهم السومريون أيضا، إذ اشتهر احد ملوك ما قبل الطوفان و اسمه (انميدرآتكن) باكتشاف أصول الكهانة و مبادئها (أي اكتشاف الوسائل التي تساعد على استنتاج مقاصد الآلهة و إرادتها من المشاهدات المختلفة).[241]

تعد شريعة حمو رابي من أعظم الوثائق التي أمدتنا بمعلومات طبية خاصة عن قوانين الجراحة عند العراقيين القدامى . فمن بين مئات الرقم الطبية التي تعنى بالعلوم الطبية لا توجد سوى كسرتين تخص الجراحة ، الأولى تخص إزالة

---

[241] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1 ، ص200.

"الماء الأزرق" من العين ، و الثانية ربما تتعلق بازالة الجزء الملتهب من العظام نقرأ فيها " إذا كان المرض و صل داخل العظم فعليك ان تكشطه و تزيله" .[242]

ويمكننا أن نورد المواد التي تخص الطب من شريعة حمو رابي على النحو التالي :

المادة 215 _" إذا أجرى جراح عملية كبيرة لنبيل من النبلاء بمبضع من البرنز و أنقذ حياة النبيل، أو إذا فتح محجر عين نبيل من النبلاء بمبضع من البرنز و أنقذ عين النبيل فيأخذ عشرة (شيقلات) من الفضة أجرة له. "

المادة 216- " و إذا كان المريض من الطبقة العامة فيأخذ خمسة (شيقلات) ".

المادة 217 _" و إذا كان المريض عبدا لنبيل، فعلى مالك العبد أن يعطي الجراح شيقلين من الفضة أجرة له".

المادة 218- " إذا أجرى جراح عملية كبيرة على رجل شريف بمبضع من البرونز، وتسبب عن ذلك موت النبيل، و إذا فتح محجر عين نبيل من النبلاء، و تسبب عن ذلك تلف العين فتقطع يد الجراح ".

المادة 219 – " إذا أجرى جراح عملية كبيرة على عبد نبيل من النبلاء بمبضع من البرونز و تسبب ذلك موت العبد، فسوف يعوض النبيل عبدا بعبد "[243].

المادة 220- " وإذا فتح جراح محجر عين عبد لمبضع من البرونز و اتلف عينه فسوف يدفع نصف ثمنه من الفضة. "

---

[242] - مجموعة مؤلفين ، حضارة العراق ، ج2 ، 335.

[243] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1، ص 198.

المادة 221- " وإذا جبر جراح عظم نبيل من النبلاء، أو انه عالج عظما ملتويا فشفاه فعلى المريض أن يدفع خمسة شيقلات من الفضة أجره إلى الجراح."
المادة 222- " وإذا كان المريض من الطبقة العامة، فانه يدفع ثلاثة شيقلات من الفضة ".
المادة 223- " وإذا كن المريض عبد رجل شريف، فعلى مالك العبد أن يدفع شيقلين من الفضة أجرة إلى الجراح ".
المادة 224- " إذا أجرى جراح بيطري عملية كبيرة على ثور أو حمار و أنقذ حياته، فيدفع مالك الثور أو الحمار إلى الجراح البيطري 1/6 الشيقل أجرة له ".
المادة 225- " وإذا أجرى عملية كبيرة على ثور أو حمار وتسبب ذلك موته، فانه يعوض مالك الثور أو الحمار بمقدار 1/4 ثمنه "[244]. و لهذا نستدل من شريعة حمورابي على أن للطب في العهد القديم مكانة مهمة في المجتمع استلزم تنظيمه بجملة المواد في قانون حمورابي بعضها يتعلق بتحديد الأجور الخاصة بالأطباء و الجراحين و البياطرة و كذلك تحديد العقوبات الخاصة في حالة إساءة الأطباء استعمال مهنتهم[245] .

تشير الكتابات المسمارية على أن عدد الأطباء المحترفين لم يكن قليلا و إلى جانب هؤلاء كان جملة من الأطباء الموظفين الرسميين بعضهم خاص بالملوك، و كان الأطباء يتنقلون من بلد إلى آخر ومن قطر إلى آخر، حتى أن الملوك كانوا يرسلون أطباءهم الخاصين إلى ملوك آخرين لمداواتهم، وكانت هذه

---

[244] - المرجع نفسه، ص199.
[245] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1 ص368.

العادة متبعة في أقطار الشرق الأدنى و جاءتنا عنها أخبار طريفة[246]. و تذكر الوثائق أن ملوك الحيثيين في الألف الثاني قبل الميلاد كانوا يطلبون الأطباء إلى ملوك بابل إذا مرضوا هم أو مرض احد أقاربهم مرضا خطيرا [247].

كما انه قد تم العثور على مئات من النصوص المسمارية التي أمدتنا بمعلومات وافية عن الممارسات الطبية غير أن ما يؤسف له أن لغة كثير من تلك النصوص لغة غامضة و أحيانا غير مفهومة، كما وربما قصد الكاتب أن تكون كذلك لإضفاء نوع من القدسية و الغموض على الممارسات الطبية بحيث لا يفهم النصوص الخاصة بها إلا المختصون حتى أن بعض تلك النصوص يذكر العبارة "لا يعلم الشخص غير المتعلم و الذي لا يعرف، لا يستطيع قراءتها و الذي لا يحفظ السر عسى أن لا يبقى صحيح البدن و تقصر أيامه ". كما ذكرنا في السابق أن الأطباء العراقيين القدماء، قد تميزوا بنوعين هما الطب السحري (اشيبوتو Achiputu)، بمعنى السحر و التعويذ ، و الطب العلمي(أستو Asutu) أي الطب و التطبيب ، و ينسحب هذا التمييز على القائمين بتقديم الخدمات الطبية[248]و يبدو أن تعليم الطب كان يتم من خلال التدريب و الممارسة الطويلة مع الأطباء و المتمرسين و ربما كانت هناك مدارس خاصة تابعة للمعبد لتعليم الطب حيث ذكرت أسماء بعض المدارس الطبية كمدرسة نيبور و مدرسة ايسن و مدرسة بورسبا و قد تفاخر احد الأطباء الآشوريين انه كان طبيب كبير ماهر من مدرسة ايسن فيما يشير

---

[246] - المرجع نفسه، ص 369.

[247] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق**، ص 351.

[248]- سليمان عامر، **دراسات في تاريخ العراق و حضارته**، ج1، ص 226.

نص آخر إلى التطبيب و حسب طريقة بورسيبا و آخر يذكر أن على المريض أن يذهب إلى مدينة بورسيبا للمعالجة [249].

و كان الطبيب يرتدي زيا خاصا و يحلق رأسه بأسلوب خاص تمييزا له عن غيره و كان يحمل حقيبة مملوءة بالآلات الخاصة بالجراحة و الضمادات مع بعض الأعشاب و العقاقير الأخرى و القناني التي لابد و أنها تملئ بالزيت أو الجعة كما يفهم ذلك من مشهد خاص بطبيب نحت على ختم اسطواني[250] . **أنظر الملحق رقم 23 ص 170**

و قد عرف الأطباء البابليون جملة من الأمراض و الأوبئة و صنفوها بحسب الأعضاء فهناك:

1-امرض الرأس عامة (كأمراض العيون الأذن والأنف و الفم و الأسنان والحنجرة).

2- أمراض الصدر (كالسل الرئوي و ذات الرئة أو ذات الجنب و أمراض القلب)

3- أمراض الجهاز الهضمي (كالتهاب المعدة و سرطانها و الإسهال و الإمساك و مرض الأمعاء و دودة الاسكرس و أوجاع الكبد و مرض المرارة و اليرقان و الأمراض الخاصة بالشرج و لا سيما البواسير و التهاب البروستات) [251].

4- الأمراض الجلدية (كالجرب و الجذام).

5- الرضوض و الأورام (الناجمة عن دمامل أو حمة روماتيزمية أو سرطان)

6- الجراحة

---

[249] - المرجع نفسه، ص 227.

[250] - المرجع نفسه، ص 228.

[251] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج،1 ص370.

7- أمراض القدم
8- الأمراض النسائية و الولادة
9- التسمم الذي يسببه مثلا لدغ العقرب أو الحية.
10- أمراض الجهاز البولي و التناسلي (كبول الدم و انحباس الدم و السيلان و التهاب الكلية).
11- امرض عصبية ونفسية (كالصرع و فقدان الهمة و الخور و الخرع و التشنجات العصبية الهستيرية).
12- أمراض أخرى كالتيفويد و الملا ريا[252] .

و لقد وردت الأمراض في المؤلفات الطبية التي خلفها لنا الأطباء الاقدمون ووجد كثير منها في مكتبة آشوربانيبال و التي هي لا شك نسخ من كتابات قديمة عن عصر البابليين.

و جاء في المؤلفات الطبية تشخيص تلك الأمراض و كان التشخيص ذا خطورة عظيمة عندهم، و طريقتهم في التشخيص يصفون الأعراض التي يشاهدها الطبيب في المريض ثم يصفون ما يفعله الطبيب و نوع الدواء أي الوصفة التي قد تتعدل و كذلك الأوقات الخاصة التي قد تؤخذ فيها ، و مما يلاحظ في هذه التآليف أن اغلبها يقتصر على التشخيص ووصف الدواء دون تبيان علة المرض و سبب ذلك جهلهم بها كما هو الحال في كثير من الحالات في الطب الحديث[253] . وجد نص طبي مهم باللغة السومرية يحتمل أن عهده يعود إلى سلالة أور الثالثة في حدود 2100 قبل الميلاد و قد يكون أقدم نص طبي في تاريخ الحضارات البشرية و مصدر هذا النص من نفر و لم تعين ماهيته إلا حديثا، و قد وردت فيه جملة و صفات طبية عقاقيرية و

[252] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق**، ص 51، 52.
[253] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص371.

من جملة هذه العقاقير المعروفة القاشية(Cassia)، و الحلتيت الذي يسمى في العراق باسم (الجويفة) أي المعروفة علميا (asafoetida) و الزعتر (thyme)، و نترات البوتاسيوم و كلوريد الصوديوم و العسل...الخ[254].

و من طرئف المؤلفات التي وجدت في مكتبة آشوربانيبال وجدت جداول مقسمة إلى ثلاث حقول ذكروا في الحقل الأول الدواء و في الحفل الثاني اسم المرض و في الثالث إرشادات بكيفية الاستعمال حسب المثال التالي:

الدواء	المرض	كيفية الاستعمال
عرق السوس	للسعال	يسحق ويشرب مع الزيت و الخمر
عرق ورد الشمس	دواء لوجع الأسنان	يوضع على الأسنان
الصبر	دواء لمعالجة المرارة	يفتت و يدق و يسحق و يوضع في الجعة ويشرب[255] .

و رتبوا الوصفات الطبية الواردة في كتاباتهم الطبية بحسب أجراء الجسم و الأمراض التي تصيبها و هذا يشير إلى بداية تطور التصنيف و البحث العلمي[256] .

كما لجأ الأطباء إلى علاجات جديدة أضافوها إلى فن العلاج كالتسميد و استعمال الكمدات و بعض العقاقير النباتية، وواضح انه كلما كان العلاج قذرا و نادرا كان الشفاء مؤكدا ، هكذا

---

[254] - المرجع نفسه، ص 381.

[255] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق**، ص 352.

[256] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 371.

كانوا يفترضون، فإننا نقرأ في وصفاتهم الطبية مثلا وصف دم الفئران ، بول الإنسان و برازه ، و قد جاء في نص طبي آشوري وصف لعلاج البواسير يقول صاحبه : " إذا كان الرجل يشكو من علة في شرجه ، و إذا كان شرجه يخزه ألماً فعليه أن يسكب عليه سائلا من زفت شجرة الصنوبر ، و الشربين و صمغ ذو رائحة و قشر الشعير ممزوجا بالزيت أو الجعة فيتعافى ". [257]

و كانت الجراحة أكثر العلوم تحررا من السحر، لأنها تقوم على معالجة ظواهر واضحة للعيان. و تشير النصوص الطبية من العراق القديم إلى إجراء العمليات الجراحية للمريض في حالة النخر الحاد و إجراء شق الخارج الكبدي ونقب غشاء الجنب المتقيح. [258]

و كانت وصفات أطباء الرافدين يدوية أحيانا، وأحيانا بواسطة معدات أخرى، فالطبيب كان في نفس الوقت جراحا، إذ أننا نجد في رسالة موجهة لآشوربانيبال من طبيبه الشخصي Arad-Nanna (اراد نانا) هذا الأخير يوجه نقدا لزميله و يشرح وصفة نزيف الأنف و هو يعطي رأي لا يتعارض مع رأي مختص في الأذن و الأنف و الحنجرة من وقتنا: " فيما يخص نزيف الأنف، فان الضمادات لم توضع بشكل صحيح لأنها وضعت على جانب الأنف بطريقة ضايقت مجرى التنفس، والدم يسيل داخل الفم، فالأنف يجب أن يغلق حتى النهاية لكي يمنع الهواء من الدخول و يتوقف النزيف." [259] و يبدوا أن هذا الطبيب مختص في أمراض الأنف و العين و الحنجرة ، فهو يورد في تقرير أرسله إلى الملك

---

[257] - فيليب حتي، **موجز تاريخ الشرق الأدنى** ، ص 83.

[258] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق**، ص 253.

[259] - Georges Raux ,op cit, p. 415

ما يلي: " الى سيدي الملك من خادمك" Arad-Nanna" : اتمنى السلام لملكي دائما و ابدا ، لتمنحك " NINIP "و "GULA" الصحة و العافية في جسدك ، سيدي الملك ، ان الذي كانت عيونه مريضة في تحسن مستمر ، فقد وضعت له الضمادات و بالامس قبيل المساء قمت بازالة الضمادات و كان هناك قيح على الضماد بحجم راس الخنصر و اذا ساعدته الالهة فانه سيبصر . تحية ابدية ! فليبتهج قلب سيدي الملك فخلال سبعة او ثمانية ايام سيتعافى المريض " [260] .بكما تجرأ الجراحون البابليون في عهد حمورابي أن يقوموا بعمليات معقدة في العين كإزالة الماء الأزرق بواسطة سكين من البرونز (المبضع). كما قاموا بعملية فتح الجمجمة و كان الاكاديون قبلهم متمرسين في العمليات الجراحية لتجبير الكسور و عمليات العين. [261]

و نجد أن البابليين عرفوا بعض الشيء عن تشريح جسم الإنسان و إن كانت معرفتهم بالتشريح و وظائف الأعضاء معرفة بدائية على وجه العموم، لأنه من أهم طرق العرافة فحص أحشاء الحيوانات و بوجه خاص طريقة فحص الكبد،(**انظر الملحق رقم 24 ص171**) فاستفادوا من تشريح الحيوان و تقطيعه، كما أن ما كان يصيب الأفراد من إصابات في الحرب جعلتهم يقفون على أهم أعضاء جسم الإنسان، و اهتموا بوجه خاص مثل الرومان ببعض الأعضاء البارزة كالكبد الذي عدوه مستودع الحياة و الطحال و المعدة و الكليتين، و القلب و الرئتين و كتبوا أثباتاً بأسماء الأعضاء و الأحشاء. [262]

---

[260] - REV.A.H. SAYCE, **Babylonian and Assyrian lif and customs** ,(NEW YORK; CHARLES SCRIBNER'S SONS,1900) p218

[261]

[262] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 372.

لقد ورد ذكر بعض الأدوات و الآلات التي استعملوها في طبهم في المصادر المسمارية، و لكننا لا نعرف كثيرا منها و كيفية استعمالها من بين ذلك أنبوب من النحاس أو البرونز يسمونه "المفتاح" لوضع الدواء في العين و في الأعضاء التناسلية و آلة أخرى يسمونها " الزراقة " (ولفضها في البابلية مثل العربية) يدخلون الدواء بها إلى الأذن وآلة أخرى مثل مباضع التشريح و الاحقاق والإبر، و استخدموا بعض الأحجار الزجاجية لصنع العدسات للتكبير، فقد وجد في مدينة كالح القديمة " نمرود" عدسة من البلور من نوع المستوى المحدب. [263]

أما مصادر الأدوية عندهم فهي ثلاثة:

1- الأدوية النباتية المستخرجة من النبات و الأعشاب كالحبوب و الخضروات و الفواكه و الزعتر و أشجار التين و السدر.

2- الأدوية الحيوانية المأخوذة من نتاج الحيوان كالعظام والشحم و اللسان و الحليب و مشتقاته.

3-الأدوية المعدنية المستخرجة من المعادن و الأحجار كملح الطعام و نترات البوتاسيوم و كربونات الصوديوم و الجبس الخ....

وتأتي الأدوية النباتية على رأس العقاقير لدى الأطباء العراقيين تليها في الأهمية الأدوية الحيوانية أما الأدوية المعدنية كانت تسحق و تذاب أحياناً. و فرقوا بين نوعين من استعمال الأدوية: نوع يستعمل استعملا داخليا "يشرب" ونوع يستعمل استعمالا خارجيا "يدهن أو يمسح ". [264]

2- علم القوائم:

---

[263] - المرجع نفسه، ص 373، 374.

[264] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق**، ص 352، 353.

لعل أقدم المؤلفات اللغوية هي الأثبات و الجداول اللغوية التي جاءتنا من عهد جمدت نصر وعصر فجر السلالات وكثرت وتنوعت في العصور التالية، وكان من بين المؤلفات التي يصح أن نعدها لغوية و بيولوجيا أيضا أثبات مطولة بأسماء الحيوان والنبات والمعادن و الأحجار. وعندما تفَّرد الساميون بالسيطرة السياسية منذ العصر الأكدي وبعد زوال سلالة أور الثالثة كثر هذا النوع من المؤلفات مما أدى إلى نشوء معاجم من اللغة المسمارية إلى اللغة البابلية. [265]

و يبدو أن العلوم الطبيعية كغيرها من العلوم لم تكن مهملة، مثل علم الحيوان وعلم النبات و علم المعادن، فهي ممثلة بشكل واسع في مكتبة نينوى و في كل ألواحها تقدم نصا مسماريا يقابله نص آشوري. [266] ومع أن هذه الاثبات (قوائم) كانت كما قلنا سابقا تحقق أغراض لغوية و لكنها في نفس الوقت تمدنا بمعلومات مهمة عن مختلف العلوم الطبيعية، حيث تدل أنواع من الوثائق عن معرفة البابليين بعدد كبير من أنواع النبات و الحيوان، و استطاع الأب" شايل" (Father Scheil) في أثناء فحصه ألواحاً يرجع عهدها إلى زمن (سمسو-ايلونا) (1912-1901 ق.م) آخر ملوك دولة لارسة أن يكتب بحثا ذكر فيه أنواع الأسماك التي كانت تباع في سوق هذه المدينة (ما يقارب 30 نوعا) .كما استطاع الباحثون تمييز نحو 250 نباتا، و لكن لم يعين من هذه تعيينا مؤكدا إلا عدد قليل أي أن علماء الآشوريات يعرفون أن اسما خاصا مدونا بالسومرية وما يرادفه بالاكدية يدل على نبات معين، بيد أنهم

[265] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 215.

[266] - p89 Joachim Menant , **la bibliothèque du palais de Ninive** ,

ليسوا متأكدين أي نوع من النباتات هو المقصود، ومع أن بعض الأسماء التي نستعملها الآن مشتقة من الأسماء السومرية ففي مثل هذه الحالات لا يمكن أن نقول أن النبات الذي نعنيه نحن هو الذي عناه السومريون و الآشوريون. [267] ونورد هنا أسماء لبعض النباتات بتسميتها البابلية وما يقابلها في العربية و الإنجليزية: [268]

العربي	الإنجليزي	البابلي
القاشيا (القثاء الهندية)	Cassia	Kasu
هندباء (تسكوريا)	Chicory	Kukru
كمون	Cumin	Kamunu
كركم	Crocus	Kurkanu
حشيشة الزوفاء	Hyssop	Zupu
مر	Myrrh	Murru
نادرين	nard	lardu

إننا نجد قوائم لحيوانات جمعت بترتيب معين يمكننا من الاعتقاد أن هناك غرض من هذا التصنيف، مثلا الكلب و الأسد و الذئب وضعوا في تصنيف واحد، في حين البقر و الغنم والماعز، يشكلون صنفا آخر، و في إحصاء هذه الحيوانات المختلفة هناك غرض واضح لتصنيف الأنواع و العائلات و تمييز الأجناس و هناك بطبيعة الحال عائلة تتضمن آكلات اللحوم الكبيرة: الكلب، الذئب، الأسد...ـ ، ثم عندنا في عائلة الكلاب نجد أنواعا من الكلاب مثل: الكلب الأليف، كلب الصيد، الكلب الصغير، و كلب عيلام. ويظهر الجانب العلمي لهذا التصنيف بقراءة الاسم العام الذي نجد بالقرب منه تطبيقا خاصا يتعلق بالتحديد بتقسيم علمي قسمه الآشوريون. [269]

---

[267] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1، ص187.

[268] - المرجع نفسه، ص 188.

[269] - Joachim Menant, op **cit**,_ p.90

و نجد أن هذه القوائم قد صنفت تصنيفا بدائيا فالحيوانات تم تقسيمها إلى اسماك و غيرها مما تعيش في الماء، وذوات مفاصل وأفاعي و طيور و ذوات أربع.[270] إلا أنهم كانوا في حالات كثيرة يحشرون عدة أفراد التي لم يكن فيما بينها تشابه، فقد عدوا مثلا جميع ما يعيش في الماء تحت صنف السمك و كذلك ذوات الأصداف و السلاحف و يمكن أن نشير هنا أن الدراسات الحيوانية قد تطورت بصورة غير مباشرة عن طريق العرافة من رجال الدين كهنة. وكان أولئك العرافون الذين يسمون (بارو Paru) يمتلكون مؤهلات علمية و ثقافية عالية ولم تكن عرافتهم مبنية على قراءة الأعضاء الحيوانية المختلفة و موقعها فقط بل كانوا يجرون عليها التجارب و يستخلصون منها البراهين و كان لديهم حوالي عشرة الآلف ملاحظة عن الحيوانات، و يمكن القول بان استنتاجات هؤلاء البابليين قد هيئة ولادة الروح العلمية لأول مرة.[271]

ونلاحظ إدراج البابليين لعائلات كاملة في قوائمهم وضعت فيها الحشرات مثل الحشرات التي تهاجم النباتات، الحيوانات، الملابس و الأثاث. أما النبات فقد أوجدوا له تصنيفا مثلا على أساس استعماله حيث نجد في احد الألواح مجلات استخدام الخشب في هياكل القصور أو بناء السفن أو في صناعة العربات.[272] وقد ميزوا في عالم النبات أنواعا وأجناسا من الأشجار و الخضروات و الأعشاب و الحبوب و صنفوا هذه إلى مجاميع متشابهة في أشكالها و أثمارها وميزوا في بعض

---

[270] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1، ص 188.

[271] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق**، ص 355.

[272] - Joachim Menant , op **cit** ,_ p.91

الاشجارجنسي الذكر و الأنثى مثل النخيل.[273] وقد سبق أن ذكرنا استخدام النبات كمصدر للأدوية النباتية و على هذا الأساس خلف لنا أطباء العراق القديم مجموعات كثيرة بأسماء الأعشاب و النباتات و الأزهار التي استعملوها أدوية، و العدة في استعمال النباتات و الأعشاب أنهم يضعون شروطا لاستعمالها منها المكان الذي تنبت فيه و أوقات قطفها.[274]

من المرجح أن البابليين الأوائل عرفوا عملية تلقيح النخيل و تؤيد الآثار التذكارية الآشورية في القرن التاسع قدم هذه المعرفة، و لكن يحتمل أن هذه المعرفة أقدم من ذلك الزمن بكثير.[275] و أطلق الآشوريون تسميات جنسية على نباتات متنوعة إذ أطلقوا مصطلح الذكر على أشجار الصرو و أشجار اللقاح، و المرجح كثيرا أن البابليين لم يتحدثوا عن تلقيح النخيل إلا من قبيل المجاز الشعري، لكنهم أدركوا إدراكا كليا ضرورة الجمع بين أزهار الأشجار غير المثمرة و الأشجار المثمرة من اجل ضمان تلقيح هذه الأشجار.[276]

3- الرياضيات:

تستنبط أهم المعلومات عن الرياضيات في بلاد ما بين النهرين، من نوعين من النصوص الرياضية المسمارية. النوع الأول يتمثل في الجداول الرياضية، و النوع الثاني يتمثل في نصوص و قضايا علمية كانت تمثل المعادلات الجبرية التربيعية و عمليات أخرى تم صياغتها بتعابير هندسية.[277]

---

[273] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 363.

[274] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 356.

[275] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1، ص 188.

[276] - المرجع نفسه، ص 190.

[277] - إسماعيل حلمي محروس،**الشرق العربي القديم و حضارته**، ص 120 .

ولا يبلغ عدد الألواح الرياضية التي تم حلها مبلغا كبيرا، إذ هي لا تعدو الستين لوحا، هذا بالإضافة إلى نحو مئتي لوح تحتوي على جداول رياضية، معظم تلك الجداول تعود إلى عهد متأخر جدا (العهد السلوقي). لذا فإن المتوفر أقل من مئة لوح يمثل الرياضيات البابلية أغلبها جاءتنا من حفائر غير مشروعة مما عرض هذه الألواح إلى التبعثر (عدم التسلسل) كما تعرضت الألواح المنفردة إلى الكسير قطعا و أجزاء،[278] لهذا فالباحث في الرياضيات البابلية يجد صعوبة في ذلك.

يعتبر الكثير من المؤرخين أن أقدم الأرقام و الحساب في تاريخ البشرية نشأ في بلاد الرافدين، ذلك أن حاجات الحياة في العراق القديم هي التي قادت إلى نشوء الرياضيات، ومن هذه الحاجات نجد:

- الحاجة إلى التقويم بالنظر إلى اعتماد العراق على الزراعة و ضبط الفصول.
- الحاجة إلى الرياضيات لتلبية متطلبات العمليات التجارية المتسعة و الحاجة إلى الرياضيات لتلبية متطلبات الأعمال الهندسية العمرانية كالأبنية والطرق وشق القنوات.[279]

1-3-الحساب:

هو أول ما يمكن أن نستهل به في الكلام عن الرياضيات، وما يميزه هو معرفة الأرقام، التي ترجع لدى العراقيين القدماء إلى ظهور الكتابة، و قد كان استخدام الأرقام مهما في التطور الحضاري حيث توصل السومريون إلى الطريقة الستينية وكانت

---

[278] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1، ص163.

[279] - برهان الدين دلو ، **حضارة مصر و العراق** ، ص344 .

الأعداد معدودة من خمسة نسبة إلى أصابع اليد، ويبدأ العد بالطريقة التالية:

آش 1

من 2

إش 3

لمو 4

أي (أو) يا 5

و لما كان العدد (5) غير كاف كما هو واضح، فإنهم أضافوا " أي" إلى الأرقام السابقة ليضاعفوها و هذا يعطينا:

آش (ياشي) 6

إيمين (أي – مين) 7

أو شو (أي – إش) 8

إلمو (أي لمو) [280] 9

أما الرقم عشرة فكان له اسم آخر هو (أو) وضعفه (20) هو " نش " و من العشرة و مضاعفاتها جاءت مركبات هي:

أوشو أو (شي) أو ثلاث عشرات 30 =

نيش مين = عشرونان $2\times20=40$

نينو (نين أو) = عشرونان + عشرة $=50$

أما العدد (60) فله اسم خاص و ليس كغيره فهو " جش " و هو أساس النظام العددي كذلك، و كان مربعها هو " سار " (3600)، و إلى هذا النظام يعود تقسيم اليوم إلى (24) ساعة و الساعة إلى 60 دقيقة و الدائرة إلى 360 درجة و السنة إلى 360

---

[280]- نجيب ميخائيل إبراهيم، **مصر و الشرق الأدنى** (دار المعرف ، 1961) ، ج6 ، ص 228 .

يوما. [281] و يعود هذا التكرار في العلامات الدالة على الأرقام و انحسارها لطبيعة الخط المسماري.[282]

لقد دلت هذه الطريقة على درجة عالية من التجريد الحسابي تعوا إلى الدهشة و يستحيل على الباحث أن يعرف أصل اكتشافهم لهذه الطريقة، هل كانوا من الحاسبين العباقرة الذين استنبطوا هذه التجربة من تجربة طويلة، أو أن الطريقة نفسها شحذت جهودهم نحو حسابات بالغة في التعقيد و تجارب جبرية عالية.[283] وينسب اختراع النظام الستيني إلى السومريين و ليس إلى البابليين، و قد احتفظ البابليون ورثتهم بالنظام الستيني في النصوص العلمية بينما استخدموا عادة النظام العشري، فلم يكن النظام الستيني نظاما حكيما في بداية الأمر لأن السومريين بدءوا بالعد على أصابعهم كما سبق ذكره، و ذلك من 1 إلى 5، ثم زائدا 2، و 5 زائدا 3، وهكذا حتى العشرة. و بعد العشرة كان يشار إلى الأعداد على النحو التالي:

1+10، 2+10، و هكذا حتى العشرة مرتين (20) و هكذا حتى 60 بعلامة الواحد عينها. [284]

و بمقتضى الطريقة الستينية يمكن وضع علامة مسمارية للرقم 1 هي 𒁹 و تقوم كذلك للستين و مضاعفاتها و علامة أخرى للعشرة هي 𒌋 و بحسب مبدأ القيمة العددية بالنسبة إلى المرتبة يمكننا مثلا كتابة الرقم العشري 151 بحسب الطريقة الستينية بالصورة الآتية (من اليسار إلى اليمين)، 𒌋𒌋𒌋𒁹𒁹

---

[281] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 341.

[282] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1، ص 164.

[283] - المرجع نفسه، ص 165.

[284] - سعيد إسماعيل علي ، **التربية في حضارات الشرق القديم** ، ص 143 .

لان هذا يساوي بحسب المرتبة 2 151= 31 + 60× ، و بالنظر لانتفاء الصفر في العهود القديمة فإن القيمة المطلقة لعدد ما لا يمكن تقديرها إلا من السياق ، و لكن طبيعة المسائل التي تحل وسياق العمليات الحسابية يقلل كثيرا من الالتباس الحاصل ، كما أن مقدار الأساس ستين قد ساعد على تحديد الاختيار و رفع الالتباس [285].

و يحتوي أقدم الألواح السومرية على جميع أنواع الجداول العددية ومنها جداول الضرب و جداول التربيع و التكعيب، و هذه تكون بتعكيسها جداول للجذور التربيعية و الجذور التكعيبية، ثم جداول معكوسة الأعداد و لو قرأ الباحث أحد تلك الجداول في تتابع فلا مجال للإلتبياس. فمثلا:

مربع 1 هو 1

مربع 2 هو4

مربع 3 هو 9

مربع 8 هو (60 + 4)

مربع 60 هو60 (أي 60^2) ، وهذا كله سهل و واضح ، و لكن ماذا يحدث للحاسبين الذين يحتاجون إلى الرجوع إلى خانة واحدة من الجدول ؟ . الجواب عن هذا السؤال أنه تحتم عليهم أن يكونوا متيقضين، و هذا كل ما في الأمر، فلا ينظرون إلى خانة واحدة دون الخانات المجاورة.

و في جدول " معكوس الأعداد " – وهي كثيرة وواسعة – ما يدعو إلى الالتفات، فإن السومريين بعد أن اكتشفوا استعمال الكسور المستند إلى نفس الأساس الخاص بالأعداد الصحيحة

---

[285] - طه باقر ، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة** ، ج1 ، ص 335 .

استطاعوا في نفحة مبكرة من العبقرية أن يبطلوا معظم الكسور و يستغنوا عنها و أدركوا أن الكسور الستينية لم تكن سوى نوع من الأعداد الستينية الصحيحة و لا تختلف عنها، كما أن الكسور العشرية هي في الواقع نوع من الأعداد الصحيحة العشرية على الرغم من أن أناسا مثقفين أذكياء في العصر الحاضر لا يستطيعون إدراك ذلك. [286]

و قبل أن نذكر نماذج من القضايا الرياضية نؤكد أهمية الجداول في نضج الرياضيات البابلية و الفلك البابلي فقد مكنت هذه الجداول من توفير الجهد و الوقت في الحساب واستطاعوا بفضلها إجراء عمليات الضرب و القسمة في الأعداد الكبيرة و منها جداول رفع الأعداد إلى القوى و جداول أخرى لجذور الأعداد من الأسس المختلفة مثل ما ذكرنا في المثال السابق.

و في استعمال البابليين لمبدأ معكوس العدد في إجراء عملية القسمة في القسمة على عدد آخر كانوا بدلا من عملية القسمة المعتادة يضربون العدد المراد قسمته بمعكوس العدد المراد القسمة عليه أي **أ/ب = أ×(** $\frac{1}{ب}$ **)** و يؤخذ معكوس العدد المراد من الجداول المهيأة التي كانت في متناول اليد، ويؤخذ حاصل ضرب العدد بمعكوس الثاني من جداول الضرب الخاصة أيضا، [287] و من الجداول الطريفة التي جاءتنا عن رياضيي العراق القديم و بحث فيها حديثا ما يشير إلى معرفة القوم بالمبدأ المعروف باللوغاريتمات فقد جاء في بعض ألواح الطين من العهد البابلي القديم سؤال رياضي يطلب فيه إلى أيَ قوة يجب

---

[286] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1، ص 165، 166.

[287] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1 ، ص 336 .

رفع عدد معين حتى تكون النتيجة عددا معينا آخر. ومعنى هذه القضية إيجاد لوغاريتم عدد معين من قاعدة أو أساس معين، و لكن الفرق بين معرفة اللوغاريتمات في الرياضيات الحديثة و بين معرفة البابليين لها هي أن البابليين لم ينتخبوا أساسا أو قاعدة عامة مشتركة يرتبون بموجبها الجداول لاستعمالها في الحسابات العلمية كما في الوقت الحاضر. و لعل منشأ اللوغاريتمات عند البابليين من مسائل الربح و المسائل المتعلقة به، و على كل فإنه كان نتيجة منطقية لمعرفتهم الواسعة في ضرب الأعداد و رفعها إلى قوى و أخذ جذورها[288]

2-3- الجـــبر:

بلغ الجبر مرحلة متقدمة في بلاد الرافدين و يقول بعض المؤرخين (إن العرب اعتمدوا على المعلومات الرياضية التي توصل إليها البابليون أكثر من اعتمادهم على اليونانيين في هذا المجال) و يعتبر الجبر الحديث تطورا للجبر البابلي الذي تعثر لدى الإغريق. [289]و الواقع أن مهارة رياضيي العراق القديم في الجبر قد اختفت في عهد الهندسة اليونانية و لكنها عادة إلى الظهور في عهد " أرخميدس " (في منتصف القرن الثلث قبل الميلاد) و في عهد "هيرون" (بين القرنين الأول و الثاني قبل الميلاد) وفي عهد الرياضي الشهير " ديفونطس " (منتصف القرن الثالث ميلادي). و المعتقد إلى غاية 1900 م أن واضع أصول الجبر هو الرياضي اليوناني ديوفنطس، ولكن بدأ هذا الاعتقاد يزول منذ 1920 م، حيث أخذت معرفتنا بالرياضيات

---

[288] - المرجع نفسه ، ص 336 ، 338 .

[289] - برهان الدين دلو ، **حضارة مصر و العراق** ، ص 346 .

[3] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 341

البابلية تزداد و منها الوثائق المتعلقة بالجبر البابلي و قد أصبح في متناول أيدينا الآن من هذه الوثائق ما يشمل زمن الفي عام من اواخر الالف الثالث ق.م الى بداية العهد المسيحي تقريبا . لكن الوثائق المهمة تقع بين 2000 و 1200 ق.م و من العهد السلوقي في العراق أيضا[290]. ولم يستعمل البابليون الرموز في الجبر و مع ذلك فقد توصلوا إلى أسس هامة في خصائص الأعداد كما عرفوا المعادلات الجبرية الأساسية من الدرجات الأولى و الثانية و الثالثة و اتبعوا في جلها طرق عملية تبعث على الإعجاب و بعضها يتضمن مبدأ المتواليات.[291] و مما لا ريب فيه أن السومريين عرفوا حل معادلات الدرجة الأولى و المعادلات الآتية من الدرجة الأولى المحتوية على مجاهيل كثيرة و معادلات الدرجة الثانية و معادلات الدرجة الثالثة، و يبدو أنه جعل لحل معدلات الدرجة الثانية دستورا يشبه دستورنا، و استدل " نوجيباور " (Neugebauer) على انه حتى بعض المعادلات الدرجة الثالثة كانت تختزل إلى صورة قياسية مطردة و انه كان يوجد جدول يحتوي على قيم ن^2– ن ^{3} لمثل هذه الأغراض، و مع هذا فإنه لا يسعنا أن نستنتج أن الحاسب السومري إ ستطاع أن يحل بعض أنواع معادلات الدرجة الثالثة. [292]

وعلي الرغم من إنتفاء الرموز الجبرية إنتفاءا كليا فان الحاسب السومري كان عارفا بالمطابقة التي نعبر عنها بالمعادلة **(أ+ب) ² = أ²+2أب+ب²** وكان يعرف الواسطة الجبرية لإيجاد القيم التقريبية المتتابعة لجذر العدد التربيعي وهذه الجهود عجيبة

290

291 – برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 346.

292 - جورج سارتون، **تاريخ العلم** ، ج1، ص 180.

يصعب تصديقها(على حد تغير جورج سارتون) والتفسير الوحيد الذي أستطيع تقديمه هوان حسابته مجرد و جداوله الرياضية جعلت فكرة ذا صبغة جبرية واتجاه جبري.[293]

3-3-الهندسة:

وكانت الهندسة تطبيقا للجبر كما كان الجبر أساسا للهندسة وكلاهما يرتبطان معا بالحساب ذلك لان الحياة العلمية كانت تقتضي الربط والاتصال لقد عرفوا بعض الخصائص لبعض الأشكال الهندسية ومساحتها كما عرفوا حجوم بعض الأشكال المجسمة، مثل حجم متوازي المستطيلات القائم والاسطوانة والمخروط المقطوع والهرم الرباعي المقطوع وحسبوا محيط الدائرة ومساحتها وعرفوامن الدائرة قطعة الدائرة ومساحتها بعد معرفة قوسها ووترها.[294]

وعرف البابليون نظرية فيثاغورث بزمن طويل، وهناك عدد من المسائل التي بها فيما وصلنا من النصوص من ذلك، المسالة التالية: "باب مستطيل عرضه عشرة وطوله أربعين فماهو قطره؟".**أنظر (الملحق رقم 25ص172**) ومسالة أخري تخص مساحة حقل علي هيئة شبه منحرف يطلب فيه إيجاد المساحة بعد حساب الارتفاع من المعلومات المعطاة بالفرض.[295]وقد عثر بين مكتشفات تل حرمل علي مسالة هندسية جبرية يعود تاريخها الى حوالي ألفين سنة قبل الميلاد أي قبل زمن اقليدس ب 1700 عام، تتضمن معرفة لخصائص المثلث القائم الزاوية (نظرية فيثاغورث) ومعرفة نظرية تشابه المثلثات(نظرية

---

[293] - المرجع نفسه، ص171.

[294] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 341.

[295] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 341.

اقليدس)والى ذلك فان هذه المسالة حالة خاصة من حالات تشابه المثلثات فيكون المثلثات المحدثان علي جانب العمود متشابهين ويشابه كل منهما المثلث الأصلي بل أنهم عرفوا مساحة شبه المنحرف وهي حاصل ضرب الارتفاع ب نصف مجموع الضلعين المتوازيين، وتوصلوا الى معرفة المتتاليات الهندسية التي تعزي الى ارخميدس واستخدموها في حساباتهم الفلكية.[296]

4 - الفلك(التنجيم):

يرى سكان بلاد الرافدين القدماء أن أحداث السماء لها انعكاس على الأرض، حيث كانوا يعتقدون انه إذا أمكن التعرف عن كثب على أحوال الآلهة والملوك والبلدان في أصولها السماوية، وصلاتها بالكواكب ومجموعات النجوم فانه يصبح

[296] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق** ، ص 348.

ممكنا التنبؤ بالمستقبل المتعلق بالأرض، وهذا ما يعرف بعلم التنجيم الذي يرتبط أيما ارتباط بالمعارف الفلكية.

في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد كانت التنبؤات السماوية ميزة رئيسية في ثقافة بلاد ما بين النهرين، حتى أن تأثيرها قد امتد إلى المناطق المجاورة لبابل مثل عيلام، و يمكن إرجاع بداية تأريخ التنجيم إلى رسائل ماري و نصوص التنبؤات القديمة في حوالي 1800 ق.م وقد امتدت إلى العهد البابلي الأوسط و العهد الآشوري. [297] و لكن يعتبر ظهور علم الفلك في بلاد مابين النهرين متأخرا بأكثر من ألف سنة. حيث انه في منتصف الألف الاولى قبل الميلاد بدا اهتمام المختصين في جنوب البلاد بالظواهر التي تلاحظ في السماء وخاصة حركات الكواكب والقمر والتبديلات في طول النهار والليل.[298] ونظرا للعلاقة الوطيدة بين الآلهة في بلاد الرافدين وظواهر الكون والطبيعية المختلفة، فان ظواهر النجوم والكواكب التي عد البابليون قسما منها كآلهة وعبدوها قد أدى الى انتشار عبادة النجوم كونها ذات علاقة بالحياة حيث تظهر إرادتها في النجوم التي ترصع قبة السماء، كما أنهم شبهوا النجوم بالكتابة الإلهية و رقيم السماء، فنشأ عن ملاحظة النجوم و الكواكب التنجيم و الفلك. ومن مظاهر علاقة النجوم و الكوكب بالآلهة نجد أن العلامة المسمارية التي يعبر بها عن الإله يعبر بها كذلك عن الكواكب بتكرارها ثلاث مرات، فقد قابل البابليون كثيرا من الكواكب و

---

[297]- F.Rochberg: **the Cambridge ancient history**, (2nd Ed, Cambridge university press, 1992), vol, III, p02

[298] - إسماعيل حلمي محروس، **الشرق العربي و حضارته**، ص 121 .

النجوم بالآلهة فاتخذ سكان العرق الاقدمون الأجرام السماوية آلهة. [299]

و إذا اعتبرنا بان التنجيم (Astrology) هو الوجه السحري و الشعبي لعلم الفلك (Astronomy) فإن التنجيم في بلاد الرافدين كان في بدايته مجرد رصد للكواكب و النجوم في السماء و تحديد أوقات سقوط المطر و هبوب الرياح و تبدل الفصول، فقد كتب الرافديون تقارير روتينية بانتظام عن المشاهدات الشهرية للقمر الجديد، و تأريخ تقابل الشمس و القمر بالإضافة إلى تقارير عن المشاهدات السماوية المختلفة و الظواهر المناخية مثل المطر و الرعد من خلال مراسلات ماري لأكثر من ألف سنة، كما أسلفنا. ولعل فكرة قياس الزمن ولا سيما التقويم الشمسي، اوحتها للإنسان الدورة الزراعية، و لما كانت تقلبات الجو (و علاماتها الكواكب و النجوم) تؤثر على مصادر الغذاء وبهذا الشكل أصبح ارتباط مصير الملوك بالتقلبات الجوية راجعا إلى أن الكهنة و الحكام الذين مارسوا سلطاتهم السياسية و الدينية خلال الفترات التي سبقت ظهور نظام الري في الزراعة كانوا مسؤولين مسؤولية مباشرة عن توفير الغذاء لمجتمعاتهم ولذلك فان النقص الذي يحصل في كميات الغذاء ينعكس سلبيا على الحكام و على مصيرهم، و لذلك أصبحت حركة الكواكب علامات دالة على مستقبل البلدان و حكامها. فالنصوص التنجيمية ببلاد الرافدين اثبتت بان كتبتها استنتجوا فؤولا من الاجرام السماوية المعروفة عندهم ، لكنه من الواضح من خلال

---

[299] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 254.

تلك الفؤول بان القمر كان المصدر الرئيسي الذي يوجههم في تنبؤاتهم[300] .

فشكل القمر و هو على هيئة هلال كان يفحص بعناية ، و يلاحظ الى أي اتجاه يميل أي انه متزن او غير متزن ، فإذا كان الهلال عمودياً مثلاً فان الملك سينتصر ، وبالتالي فان مصير الملك ربط بعملية رصد الهلال وو ضعيته بالنسبة الى ارصادهم[301] .

و لعل أول المظاهر التنجيمية والفلكية السومرية هو تقسيم السماء إلى مسالك إلهية أو طرق معينة بأسماء عظام الآلهة السومريين، ومنحت الآلهة الكبيرة أرقاما رمزية ذات طابع فلكي، ولعل أهم إنجاز قدمه السومريون للفلك والتنجيم هو إدخالهم النظام الستيني على النظام الرياضي الفلكي، وهذا النظام يصلح للأشكال الدائرية المقوسة وهو ماكان يحتاجه التنجيم ليتحول إلى علم فلك يقوم على الرصد والقياس وتنظيم الجداول.[302] ولعلنا مما سبق نكون قد وضحنا جانبا هاما من العلاقة التي نشأت بين الفلك والتنجيم. ومن الأمثلة التي تدل على اعتقاد الرافديين في التنجيم أنهم إذا شاهدوا هلال القمر منذ اليوم السابع والعشرين اعتبروا ذلك فألا سيئ وإذا ما شوهد القمر والشمس معا بين اليوم الثاني عشر والعشرين كان ذلك نذيرا بزوال الأسرة الحاكمة وفناء السكان، وكانوا يتطيرون كثيرا من خسوف القمر و كسوف الشمس و عزو ذلك إلى فعل

---

300 - Campbell Thompson, **the reports of the MAGICIANS and ASTROLOGERS of NINEVEH and BABYLON**, (London : luz ac and co , 1900), p xxiv .

301 - op cit , p xxiv.

302 - خزعل الماجدي، **متون سومر**، ص ص 349، 350

الشياطين كما لاحظوا الظواهر الجوية المختلفة للفأل و التطير بالزوابع و الصواعق و المطر و هبوب الرياح.[303]
و قد ظهرت النصوص التنجيمية الفلكية السومرية أثناء تكوين دويلات المدن السومرية وكانت النصوص التنجيمية السومرية هذه على شكل فأل و عرافة وقد اشتهرت مدينة سيبار (مدينة اله الشمس) بمثل هذه النصوص و كذلك مدينة أور. [304]
لم يكن لعلم الفلك في حياة البابليين أثر كبير على قدر الدور البارز الذي لعبه التنجيم في حياتهم إلا أنهم في ميدان الفلك افترضوا للسنة 12 شهرا طول كل واحد 29 يوما و الذي يليه 30 يوما أي 354 يوم خلال السنة ثم زيدت شهرا لتصبح 364 يوما ثم زيدت شهرا فأصبح عدد الشهور 14 و قل ما اتفق البابليون في عدد الشهور إلا في عهد حمورابي الذي وحدها.[305] كما أن البابليين قسموا اليوم الفلكي إلى 12 قسما كل قسم يساوي ساعة مضاعفة من ساعاتنا و الساعة إلى ثلاثين جزء أي أن يومهم الفلكي كان مقسما إلى 360 قسما متساويا و كانت الدقيقة تساوي أربع دقائق من دقائقنا و قد جاءنا هذا التقسيم من السلالة الأكدية. [306] حيث كانت أرصاد العرقيين هي الأساس الذي استندت إليه القواعد لعلم الفلك و قد استعملوا في أرصادهم الفلكية طرقا فنية من ذلك نوع من الآلة التي نسميها بآلة (الترانزيت) و جاء في الوثائق أن الملك الآشوري توكتلي ننورتا الاول (1260 – 1232 ق.م) ، استعمل مثل هذه الآلة في

---

303 - احمد أمين سليم، **دراسات في تاريخ و حضارة الشرق الأدنى القديم** ، ص 432.
304 - خزعل الماجدي، **متون سومر** ، ص 350.
305 - نجيب ميخائيل إبراهيم، **مصر و الشرق الأدنى**، ج6، ص 225.
306 - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص357.

بناء قصره في أشور. و مع أن البرج المدرج و الزقورة قد بني لأغراض دينية بالدرجة الأولى إلا انه يمكن استعماله لأغراض فلكية.[307] فقد جمع الكهنة من هذه الأبنية أرصادا قيمة، لكن الأعمال الفلكية الأساسية لم تبدأ إلا في عهد متأخر.[308]

و أهم أرصاد البابليين أرصادهم الخاصة بالزهرة، و من هذه جاءت إلينا ازياج خاصة بالزهرة من عصر الملك (امي-صادوقا) هو الملك العاشر من الدولة الآشورية التي كان حمورابي سادس ملوكها، و تطلب فهم هذه الزياج براعة الكثير من الباحثين، و عرف الفلكيون و البابليون من عصر (امي-صادوقا) (1921-1901 ق.م) أول ظهور الزهرة و آخر ظهورها، أي عند غروب الشمس و شروقه، كما عرفوا مدة اختفائها و أرفقوا بذلك نوعا من الفأل الملائم لكل حالة، فمثلا إذا اختفت الزهرة في الشرق في اليوم الواحد و العشرين في شهر آب أو ظلت مختفية في السماء شهرين و 11 يوما، ثم شوهدت في الغرب في اليوم الثاني من شهر (ارخسمنا) فمعنى ذلك أن أمطارا ستهطل في البلاد، و أن خرابا سوف يحل بها في السنة الرابعة، و إذا اختفت الزهرة في الغرب في اليوم 25 من تموز و ظلت مختفية في السماء سبعة أيام ثم شوهدت في اليوم الثاني من آب في الشرق، فستكون أمطار في البلاد و سيقع الخراب بها في السنة الثامنة و إذا اختفت الزهرة في الشرق الخامس و العشرين من آذار...(السنة الثامنة +السنة التاسعة).[309] **أنظر الملحق رقم 26ص - 173-** و استعمل البابليون آلات خاصة

---

[307] - برهان الدين دلو، **حضارة مصر و العراق**، ص 341، 342.

[308] - جورج سارتون، **تاريخ العلم** ، ج1، ص185.

[309] - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ج1، ص177.

بقياس الزمن، و هي الساعات المائية لقياس أجزاء الليل و الساعات الشمسية أو المزوال لقياس ساعات النهار، و لعل هيرودوت أصاب الحقيقة عندما قال (تعلم الإغريق ال"نومون" و ال"بولوس" و تقسيم اليوم إلى اثني عشر قسما من البابليين). و "النومون" أي المزاولة التي أشار إليها هيرودوت نوعا من الساعات الشمسية، مبدئها الظلال التي ينشرهاميل مثبت على قرص. أما "البولوس" فهو كذلك من الساعات الشمسية لقياس الزمن نهارا و كانت هذه عبارة عن نصف كرة يثبت في مركز جوفها ساق (ميل) ترسم نهايته ظلها على الجوانب الداخلية المدرجة لنصف الكرة بحسب سير الشمس. و قد استخدموا طريقة جريان كميات معلومة من الماء في إناء مدرج لمعرفة أجزاء الليل أي ساعات الليل. و قد استخدم بعض فلاسفة اليونان و علمائهم جداول الأرصاد البابلية لمعرفة الكسوف و الخسوف قبل حدوثهما و قد اثر ذلك تأثيرا بالغا في الاتجاه العلمي عند اليونان و غير من عقائدهم بالنسبة إلى الظواهر الكونية، و هذا مثال آخر على اتصال اليونان بحضارات وادي الرافدين.[310]

[310] - طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1 ، ص 360.

خـــاتمة

خاتمة:

لقد عرفت بلاد ما بين النهرين نهوض مدن كتب لها التاريخ أن تصبح لمدة قرون عديدة مراكز رئيسية في وادي الدجلة و الفرات، فكانت بابل و نينوى خير مثال على المدن المتعددة الوظائف التي كانت تقوم بوظائف سياسية و عسكرية، كما كانت عواصم دينية و علمية في وقت السلم، فازدهرت بابل و عرفت أوجَّها على عهد حمورابي في ظل الدولة القديمة، و سطع نجمها في عهد نبوخذ نصر الثاني خلال حكم الدولة الكلدانية. كما علا شأن نينوى و أصبحت عاصمة لإمبراطورية مترامية الأطراف و حوت في قصورها أقدم المكتبات التي عرفها التاريخ في عهد آشوربانيبال.

• لقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن الكتابة كانت فعلاً الأداة التي نقلت البشرية من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية، و أن هذا الاكتشاف أعلن بداية مرحلة غاية في الأهمية من حياة البشرية و مهد لمرحلة تعتبر من أغنى فترات التاريخ بالإبداع و الاكتشاف في الجوانب العلمية و الأدبية.و بالنظر إلى طريقة و أدوات الكتابة نجد أن الإنسان قد تفاعل مع بيئته بواسطة العقل إذ طوع لهذه العملية (الكتابة) المادة فاستعمل الطين الذي يتلاءم مع طبيعة منطقة بلاد الرافدين كما أنه تدرج

في تطوير الكتابة من صور إلى رموز إلى حروف فتوج ذلك بتطوير نظم التواصل و الاتصال.

• كما تبين من خلال هذه الدراسة أن الرافديين قد طوروا طريقة الكتابة و ترتيب الألواح و تصنيفها و أن التمعن في المنظومة المكتبية التي خلفوها يجعلنا نقف مذهولين أمام تلك الدقة و التنظيم الذي يعتبر ركناً لقيام أي حضارة.

• إن مكتبات وادي الرافدين مثلت خزانا حقيقيا ندين به لما نعرفه اليوم عن تلك الحضارات القديمة فقد أفادتنا بتفاصيل مهمة لم يكن ممكنا الإطلاع عليها من خلال المصادر الكتابية التي كانت أوصافها سطحية، قليلة، و ظرفية. في كثير من الأحيان.

• إن المجتمع الرافدي قد أفرز طبقة مرموقة تعد العمود الفقري للتطور الأدبي و العلمي الذي عرفته المنطقة، ولم تأتي المكانة التي احتلتها هذه الفئة من فراغ و إنما تعود إلى طبيعة تكوين الكاتب، حيث نجد أنفسنا أمام منظومة تربوية تعتبر الأقدم، لها قواعد و أسس و أهداف مثلما لها مدارس و مدرسون، و مكتبات.

• لم يكن الكاتب وحده صاحب الفضل في تطوير الآداب و العلوم فهو أخذ مكانته المرموقة في المجتمع بفضل القداسة التي أعطاها له الكهنة و الملوك فلعبت الإرادة السياسية و التأثير الروحي دوراً هاما في الحفاظ على مهنة الكتابة و التي

أسهمت فعلاً في تطوير الآداب و العلوم. و شغف بها الملوك و تغنوا بها.و بجلها الكهنة و قدسها آلهتهم.

• إن التراث الذي تركه الآشوريون و البابليون و من قبلهم أسلافهم قد أغنى التراث العالمي بزخم من المعارف و التجارب التي ما زال بعضها متداولاً اليوم.

فلقد حيكت أولى الأساطير التي عرفتها البشرية في بلاد الرافدين و ألهمت الأدب الذي عرف ازدهارا كبيراً خاصة بعد اكتشاف الكتابة التي مكنته من التداول و التوارث و الانتشار، فنقل لنا صورة بديعة عن حياة الأمم الغابرة.

- يتضح أن الاعتقادات الدينية و الخرافية كانت تطغى على مهنة الطب في العهود الأولى للطب في أصله السومري و هو ما أعطى لهذه المهنة قداسة لا من حيث هي مهنة فحسب بل حتى أدواتها و لغتها ، فنجد أن النصوص الطبية بقيت تكتب بالسومرية إلى عهود متأخرة . و نجد أن بابل و بورسيبا تميزت بأطبائها فكانت محجا للمرضى و كان أطباءها مطلوبين حتى من الممالك المجاورة .
- إن السومريين كانوا أول من وضع النظام الستيني و هو ما أعطاهم الأفضلية في التأسيس لعلم الرياضيات بجميع فروعه ، و كانت تطبيقات هذا العلم ملموسة من خلال أهم المنجزات التي قام بها البابليون و الآشوريون فيما بعد ، و كان تطور هذا العلم عاملا أساسيا في تطور الحياة الاقتصادية فيما يخص أنظمة الري و بناء الحصون و الخنادق و التعاملات البنكية التي كان مقرها المعبد .

- احتل التنجيم مكانة مرموقة في بلاد الرافدين نظرا لإرتباطه بالاعتقادات الدينية و أصبح أكثر إزدهارا في العهود الأخيرة خاصة في عهد نبو خذ نصر الثاني و لعل ذلك مرده لتطور الرياضيات التي كانت العامل الأساسي في التحول من التنجيم و الكهانة إلى دراسة علم الفلك و حساب التقويم و دراسة النجوم الأجرام السماوية
- من خلال هذه الدراسة نستنتج أن هناك تواصل حضاري في العراق القديم ، فالمعرفة التي جمعه الكتبة الأكديون هي على الأغلب من أصل بابلي ، بل من أصل سومري أي أن أساسها يمكن إرجاعه إلى الألف الثالث ق.م. و هذا ما أدى إلى ظهور أولى المعاجم في العهد و نباتات مواد في قوائم مترجمة بأكثر من لغة .
- و من الأمور التي يجب التنويه إليها هو التواصل الفكري الذي لا يتم إلا بواسطة حركة الترجمة ذلك أن العلوم تنتقل من حضارة إلى أخرى و لا يمكن أن يبقى العلم حكرا على حضارة دون أخرى لأن العقل البشري توَّاق إلى تلقي المعرفة عند مختلف الشعوب بل إنه توَّاق إلى التطور و التحضر رغم قيام و انهيار الحضارات في مختلف أنحاء المعمورة.

المصادر و المراجع

قائمة المراجع و المصادر:

• المصادر:

Hérodote, Histoires, trad.p.Giguet, Paris, 1860 -01

.Strabon,Géographie de Strabon , trad. P . Amedee,Tradieu, Hachette et , 1880 -02

DIODOR DE SICILE ,TRAD.P.Fed.Hoefer (Paris: Adolphe Delahays,libraire, 1851 -03

•-المراجع باللغة العربية:

01- أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، (بيروت: دار النهضة العربية، 1987

02- إج. أيل. ملرش، قصة الحضارة في سومر و بابل، تر. عطا بكر(بغداد: مطبعة الإرشاد، 1971)،

03-احمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، (ط1؛ بيروت: دار النهضة العربية، 2002)

04- احمد بدر، المدخل إلى علم المعلومات و المكتبات (الرياض: دار المريخ، 1985)

05- أسامة الجوهري ، الآثار العراقية ، (ط1؛ هلا للنشر و التوزيع، 2006).

06 اندريه ايمار و جانين أوبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، تر.فريد م داغر و فؤاد ج أبو ريحان (ط3 ؛ بيروت : منشورات عويدات ، 1993) ج1 .

07 أي رويستين بايك، قصة الآثار الآشورية، تر: يوسف داوود عبد القادر و مراجعة لطفي الخوري، (بغداد: مطبعة أسعد، 1972)،

08 برهان الدين دلو، حضارة مصر و العراق، (ط1؛ بيروت: دار الفارابي، 1989)،

09 بوانفارد ليفين وآخرون، الجديد حول الشرق القديم، تر جابر أبي جابر (موسكو: دار التقدم، 1988)

10توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسيا، (ط1؛ دمشق: 1985)

11جورج سارتون، تاريخ العلم، ترجمة محمد خلف الله وآخرون (ط3؛ القاهرة: دار المعارف بمصر، 1976)، ج1

12حلمي إسماعيل محروس، الشرق العربي و حضارته، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1997)

13حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني 604-562 ق.م ، (بغداد: المؤسسة العامة للآثار و التراث)

14خزعل الماجدي، متون سومر (ط1؛ عمان: الأهلية للنشر و التوزيع، 1998)

15سامي سعيد الأحمد، دراسات في تاريخ العراق و حضارته، (بغداد: 1988)، ج1

16سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، تر. السيد يعقوب (الهيئة المصرية العمة للكتاب، 1997)

17سعيد إسماعيل علي، التربية في حضارات الشرق القديم، (القاهرة: عالم الكتب، 1999)

18شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب و المكتبات في العصور القديمة، (ط1؛ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997)

19صامويل كرايمر، من ألواح سومر، تر. طه باقر، مراجعة و تقديم احمد فخري (القاهرة: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر)

20طه باقر، بابل و بورسيبا، (ط1؛ بغداد: مطبعة الحكومة، 1959)،

21طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، (ط1؛ دار الحرية للطباعة، 1976)،

22طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (ط2؛ بغداد: شركة التجارة و الطباعة المحدود، 1955)، ج1

23طه باقر، ملحمة كلكامش، تقديم محمد حسين الاعرجي (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1995)،

24عامر سليمان، دراسات في تاريخ العراق و حضارته (بغداد: 1988)، ج1

25عامر عبد الله الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، (دمشق منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2005)

26عبد الحكيم الذنون، الذاكرة الأولى، (ط2؛ دار المعرفة، 1993)

27عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، (ط2؛ القاهرة: الأنجلومصرية، 1990.)

28فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، (ط11؛ دمشق: دار علاء الدين، 1996)

29فليب حتي، موجز تاريخ الشرق الأدنى، تر، أنيس فريحة (بيروت: دار الثقافة)

30قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد و أشور، إشراف أدونيس، (ط1؛ بيروت: دار الساقي، 1999)

31- كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق ،(ط2؛ بيروت : دار الرائد العربي ، 1986

32مارغريت روتن: تاريخ بابل، تر. زينة عازار و ميشال أبي فاضل، (ط2؛ لبنان: منشورات عويدات، 1975.)

33- مجموعة مؤلفين ، حضارة العراق(بغداد ، 1985)، ج2 ،

34- محمد حرب فرزات و عيد مرعي: دول وحضارات في الشرق العربي القديم، (ط2؛ دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة، 1994.)

35- محمد عبد القادر خريبات وآخرون، تاريخ الحضارات الإنسانية (ط 1؛ الأردن: دار الكندي للتوزيع و النشر، 1999)

36- نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر و الشرق الأدنى (دار المعارف، 1961)، ج6

•المراجع باللغة الاجنبية:

37- Campbell Thompson, the reports of the MAGICIANS and ASTROLOGERS of NINEVEH and BABYLON, (luz ac and co , London 1900)

38- JEAN BOTTERO, L'Orient ancien et nous, (: Albin Michel , Paris 1996)

39- Joachim Menant, la bibliothèque du palais de Ninive (Ernest Leroux, paris: 1880

40- E.H.GILLET, Ancient cities and empires,(pres by Terian Board of publication Philadelphia), .

41- E.A.WILLIS BUDGE, Babylonian story of the deluge and the epic of Gilgamesh, BRITISH MESEUM,1920

42- E. A. WALLIS BUDGE ,A GUIDE to the Babylonian AND Assyrian Antiquities, (HARRISON AND SONS, LONDON, 1908

43- F.Rochberg: the Cambridge ancient history, (2nd Ed, Cambridge university press, 1992), vol, III

44- George Contenau, la vie quotidienne a Babylone et en Assyrie (Hachette, France;1945)

45- Georges Roux. La Mésopotamie, , édition du Seuil, France 1995

46- George Smith, History of Sennacherib,(Harrison and Sons London:)

47- Marc Van de Mieroop. A history of the ancient near east ca. 3000 – 323 BC. (Blackwell publishing, 2004)

48- MYRIAM PHILIBERT, Ditionaire des mythologies, Maxi-livres, France;2002

PERCY S.P.HANDCOCK,Mesopotamian Archeology,(Macmilan and CO.LTD., -49 .AND PHILLIP LONDON)

50- REV.A.H. SAYCE, Babylonian and Assyrian life and customs ,(CHARLES SCRIBNER'S SONS, NEW YORK ,1900)

51- Robert .J.LAU.M.A, the ANNALE of ASHURBANAPAL, (Late E.j. BRILL, LEIDEN:1903)

• المجلات:

01- وليد الجادر و عبد الإله فاضل، " دور العلم و المعرفة في العراق القديم "، مجلة المورد، عدد3 (بغداد: 1987

02- فؤاد يوسف قزاجي، " مكتبة آشوربانيبال "، مجلة آداب المستنصرية، عدد 3 (بغداد: 1987)

•- الموسوعات :

01- ل. كوتريل، الموسوعة الأثرية العالمية، تر. محمد عبد القادر محمد و زكي إسكندر، (ط2؛ الهيئة المصرية

02- معجم اللغة و الأعلام ،(ط26؛ بيروت: دار المشرق، 1986)

الملاحـــــق

الملحق رقم : 01

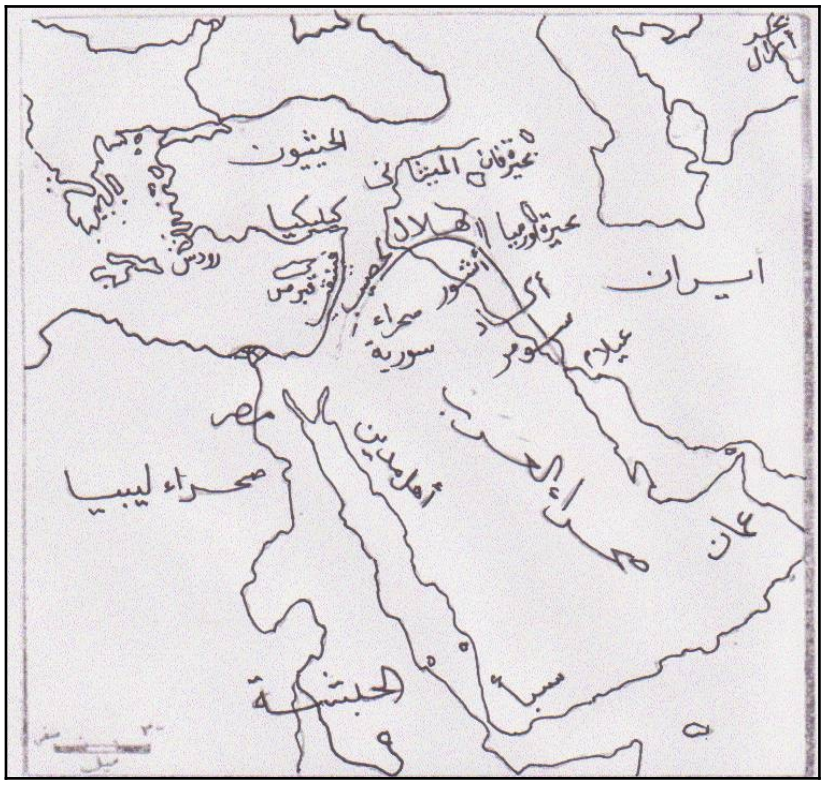

خريطة تخطيطية للشرق الأدنى و الوسط في العصور القديمة[311]

[311] - جورج سارتون ، **تاريخ العلم** ،ج1، ص 145.

الملحق رقم: 02

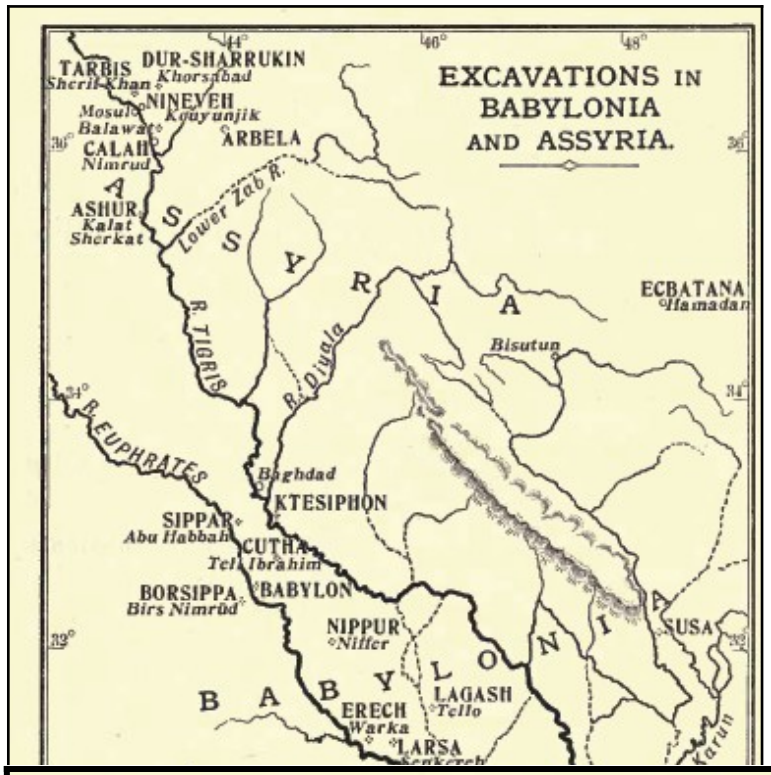

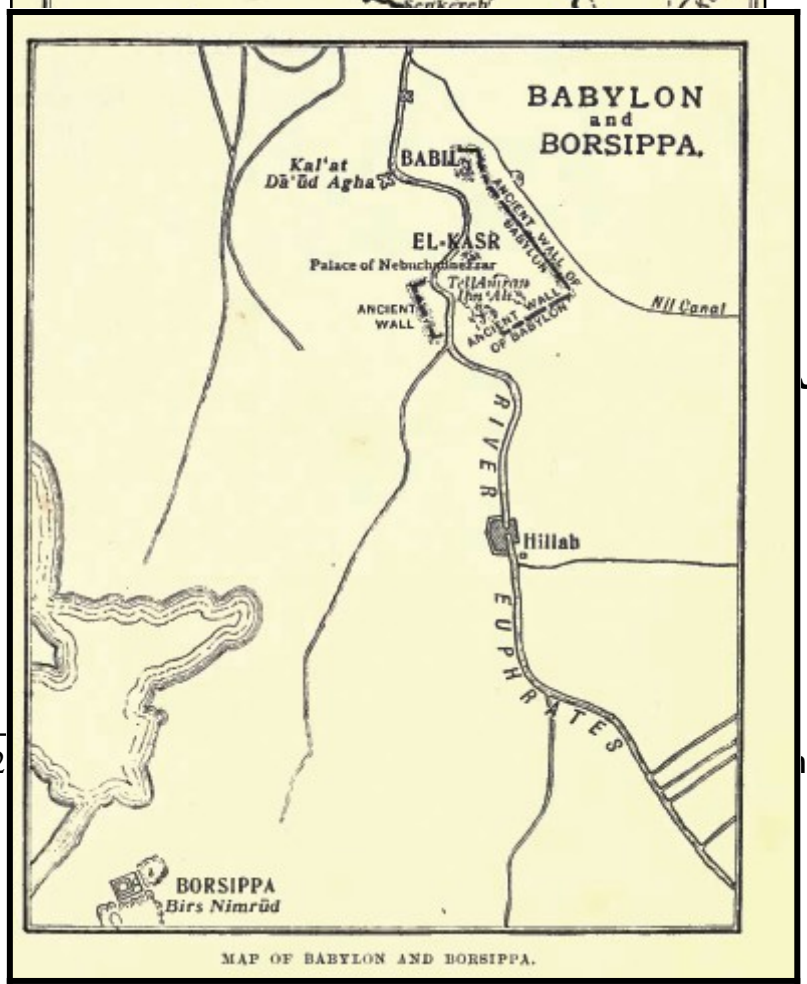

MAP OF BABYLON AND BORSIPPA.

الملحق رق

p02 Antiquities, -312

مخطط لبابل و بورسيبا[313]

الملحق رقم :04

PLAN OF NINEVEH.

A. Palace of Sennacherib.
B. Palace of Ashur-bani-pal.

[313] - ibid,p19

مخطط لمدينة نينوى يحتوى على مخطط لقصري سنحريب و اشوربانيبال[314]

الملحق رقم :05

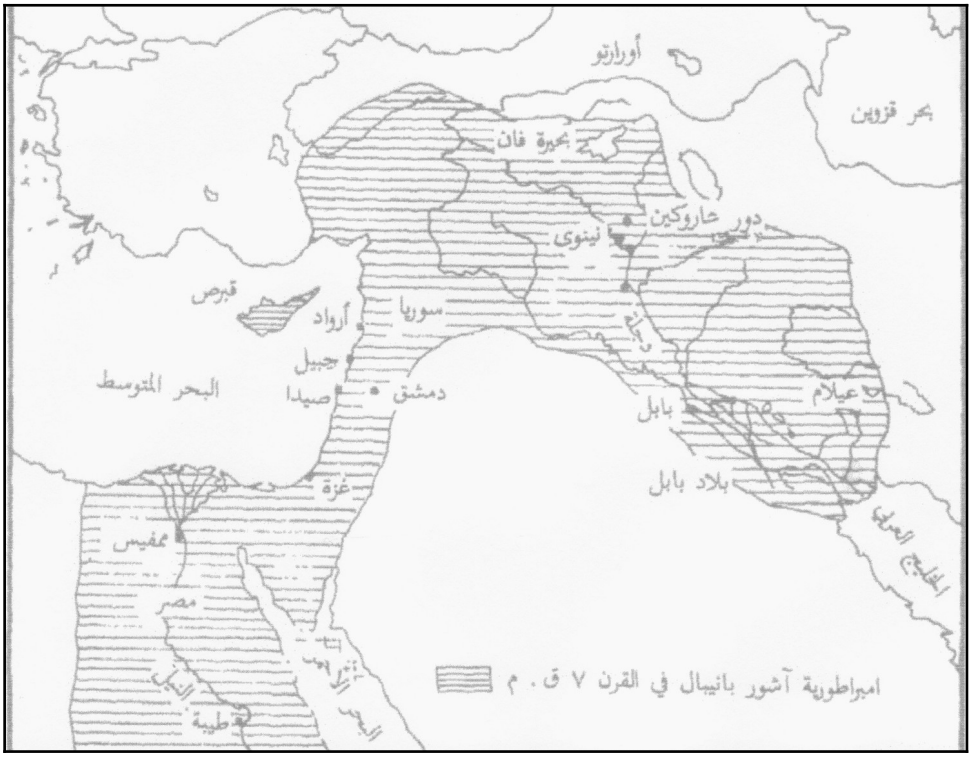

خريطة تمثل إمبراطورية آشور خلال القرن 7 قبل الميلاد[315]

[314] - ibid , p 17

[315] - محمد حرب فرزات وعيد مرعي ، **دول وحضارات في الشرق العربي القديم**، ص198.

الملحق رقم : 06

صورة تبين كيفية رسم العلامات المسمارية بقلم مثلث، ويشاهد كذلك في الصورة طبعة ختم اسطواني على لوح الطين[316]

[316] - طه باقر ، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ص 317.

الملحق رقم : 07

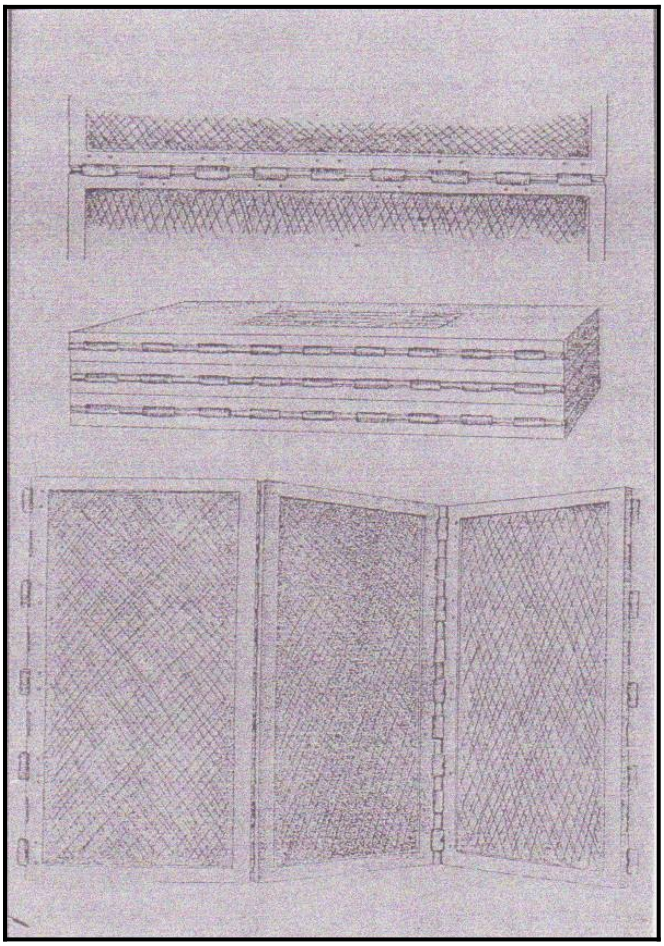

الألواح العاجية الآشورية مصنوعة للكتابة عليها ، و كيفية جمعها على شكل كتاب[317]

[317] - وليد الجادر و عبد الإله فاضل ، **دور العلم و المعرفة في العراق القديم**، ص92.

الملحق رقم: 08

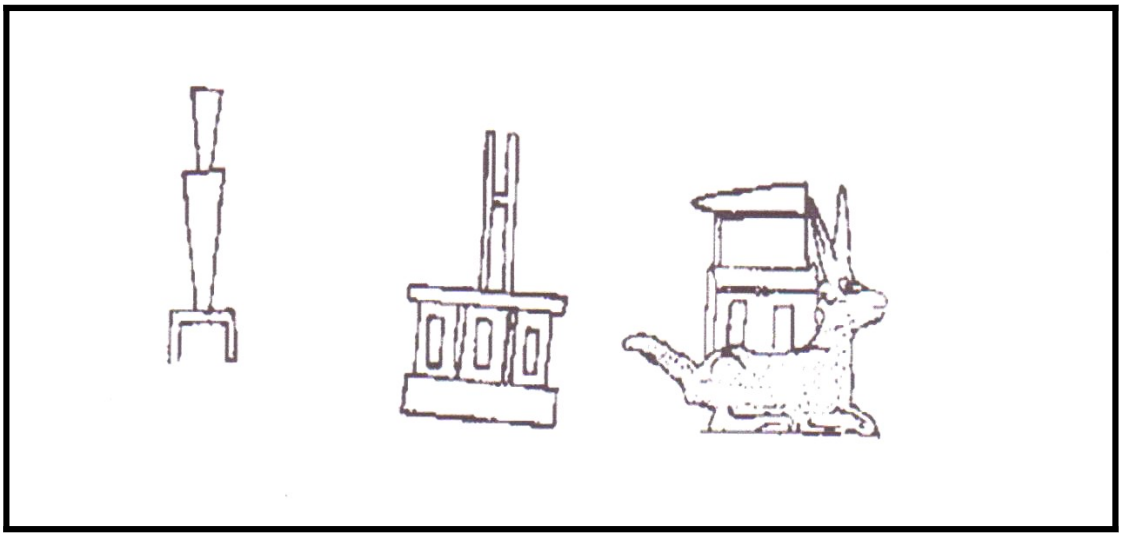

رموز الإله (نبو) إله الكتابة كما يظهر في المشاهد الفنية ، و بهيئات مختلفة[318]

[318] - عامر عبد الله الجميلي، **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة**، ص 152.

الملحق رقم :09

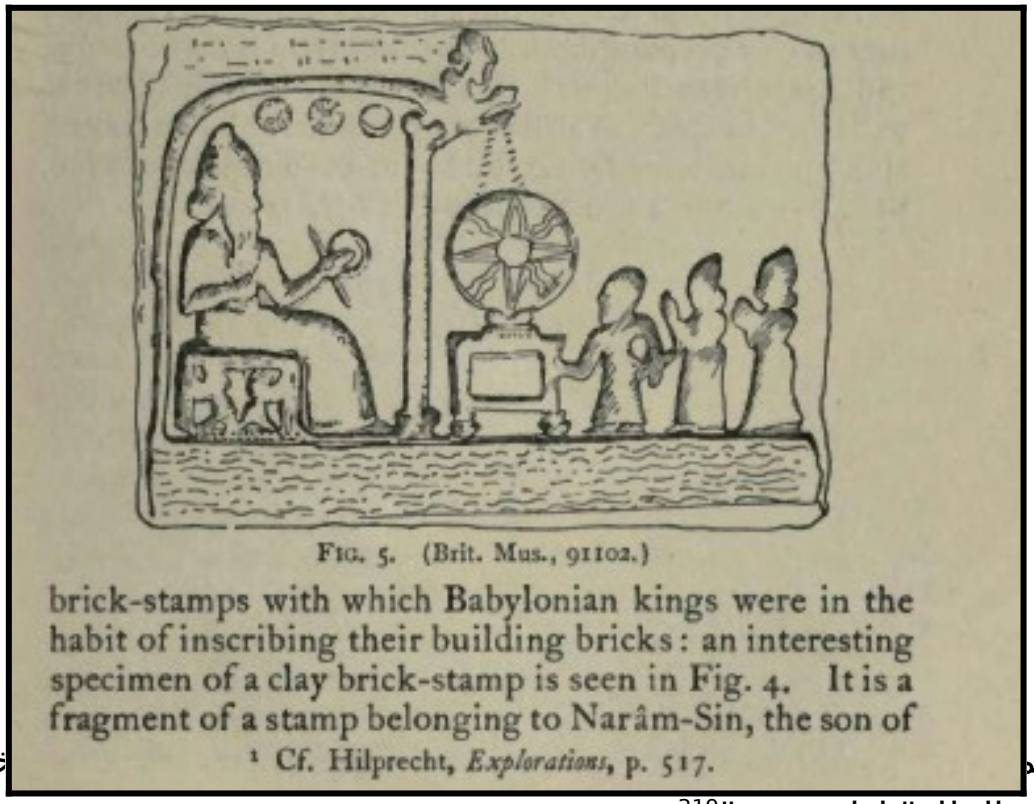

FIG. 5. (Brit. Mus., 91102.)

brick-stamps with which Babylonian kings were in the habit of inscribing their building bricks: an interesting specimen of a clay brick-stamp is seen in Fig. 4. It is a fragment of a stamp belonging to Narâm-Sin, the son of

[1] Cf. Hilprecht, *Explorations*, p. 517.

ختم الى ختم عهد الملك"نارام سين "[319]

الملحق

[319] - PERCY S. .O., AND LLIP),P117

صفوف المقاعد في مدرسة أكشف في مدينة ماري(تل الحريري)[320]

الملحق رقم :11

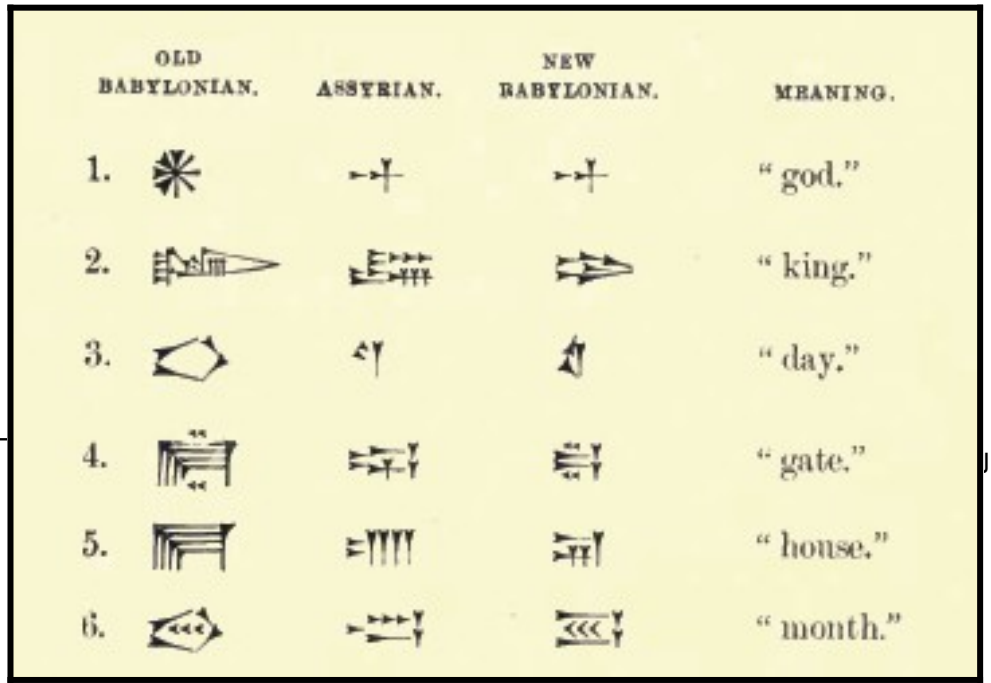

[320] - وليد ال

جدول يوضح تطور الكتابة المسمارية[321]

الملحق رقم :12

[321] - p49. E. A. WA... n Antiquities, ...

تمثال الكاتب السومري الشهير "دودو"[322]

الملحق رقم :13

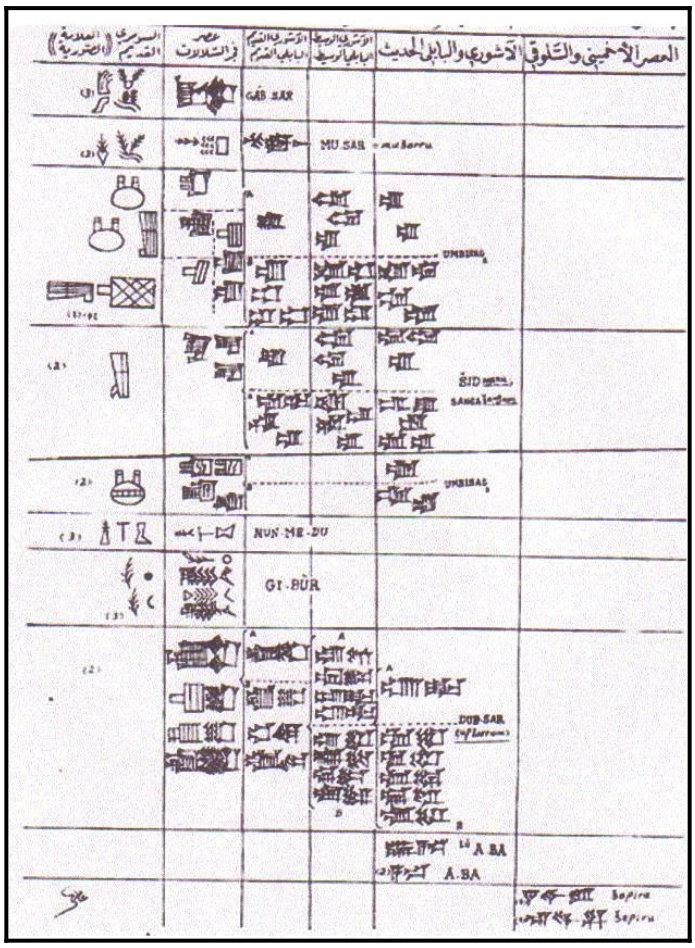

[322] - عامر عبد الله الجميلي، **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة** ، ص161.

جدول يمثل المراحل التي مرت بها العلامات المسمارية التي كانت تدل على الكاتب[323]

الملحق رقم :14

بيت الرقم أو (الألواح)	bit tuppate=
مدرسة عليا أو(أكاديمية)	bit mumme =
ألواح	=
تلميذ أو طالب	mar mumme =
مكتبة	girginakku ((IM. GU – l'A/LA) =
	qan tuppi (آشوري حديث) Qar tuppi
قصب (قلم) الكتابة	(GI. DUB – SAR) =
يكتب	sat a ru (a/u) =
يستنسخ	nas a hu =
يكمل أو يتمم	baru (ili) =
يقرأ بصوت عالي	sasn (stn) sitassu (ili) =
يملئ	liginna*f*u qabu =
يقرأ	amaru sbst. tamartu =
يكسر	hepi =
رقيم مكسور	tuppu hepu=
مستعجل	hantis =
مستعجل جداً	dulluhis =
كتب سريعاً	zamar =
يمتحن	sanaqu (ili) =
الخط المسماري	tikip santakki =
نص ، مخطوطة	mu saru =
سلسلة الألواح	iskaru (ES - GAR) =
تعليق	muka llirntu=
فقرة أو قطعة من نص	pirsu =
مقطع من نص أو مقطوعة (نص مأخوذ من)	nishu=
القديم ، الأصل	labiru=

رقيم طيني أو لوح	tuppu (BUB. IMI) =
و هي جمع و تعني رقم أو ألواح	tuppani =
صلصال أو طين	tidu (IMI)=
رقيم أو لوح طويل	gittu (IM – GID . DA)=
رقيم صغير	kammu =
نص مكتوب	sataru =
رقيم (لوح) مشوي	tuppu sarpu=
(رقيم) مشوي باحمرار	sirpu samu =
(رقيم) لوح خشبي	gis Le'u=
(رقيم) لوح خشبي	gishtu (Gis,DA) =
طابوقة (مفخورة) مشوية	agurru (sig4 – AL – UR – RA)=
قطعة حجرية مكتوبة	asumittu=
مسلة	naru (NA4.RU.A)=
أسطوانة جلدية	kus magallatu=
ورق البردي	ni aru =
و خارج تذييل الرقيم أي النص في العهد الآشوري الحديث بجانب tuppu تكتب الكلمة المأخوذة من اللغة الآرامية	
لوح أو رقيم	egertn=
و خاصة في الرسائل و في بعض الوثائق و تستعمل لأشكال نصوص معينة .	
أوامر ملكية	abat sarri =
(وثيقة مختومة) بختم الملك	unqi sarri =
و لأنواع الكتاب (DUB - SAR)	

[323] - المرجع نفسه، ص 144.

جدول خاص بالمصطلحات الخاصة بالكتابة و الكتاب و الألواح الطينية [324]

الملحق رقم 15:

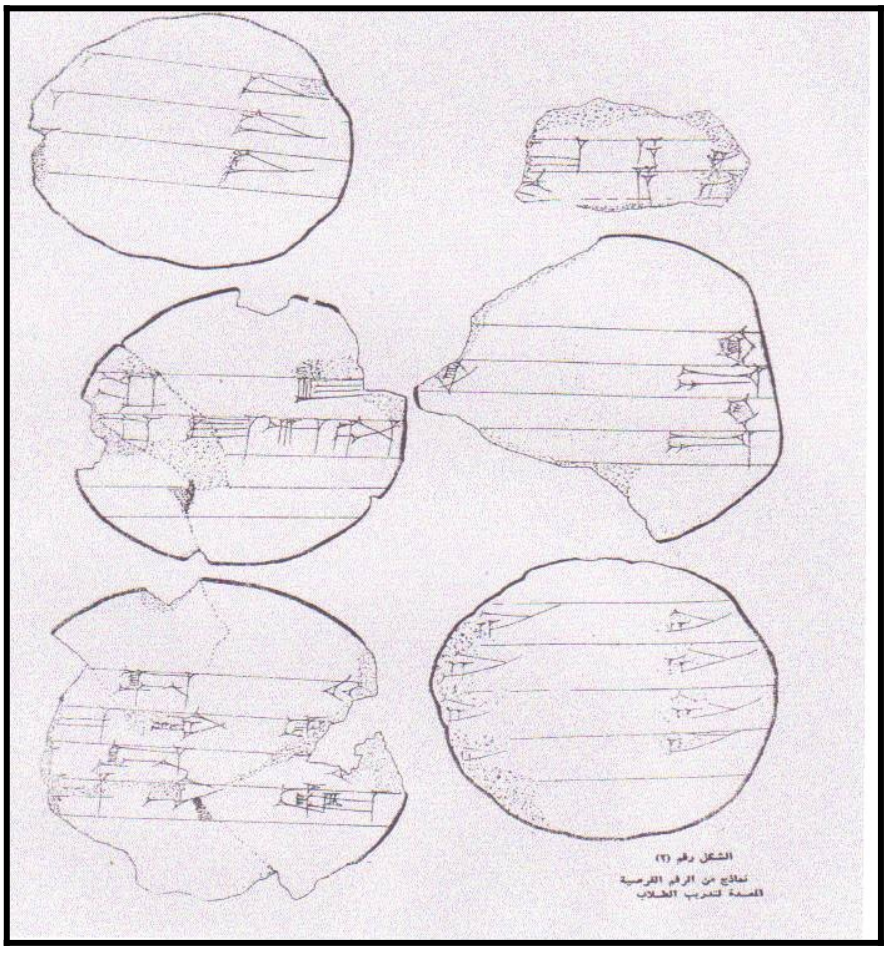

نماذج من الرقم القرصية معدة لتدريب الطلاب[325]

[324] - وليد الجادر و عبد الإله فاضل، **دور العلم و المعرفة بالعراق القديم** ، ص 101.
[325] - وليد الجادر و عبد الإله فاضل **، دور العلم و المعرفة في العراق القديم** ، ص90.

الملحق رقم :16

كاتبان من عصر أشوربانيبال[326]

[326] - عامر عبد الله الجميلي، **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة**، ص 173.

الملحق رقم : 17

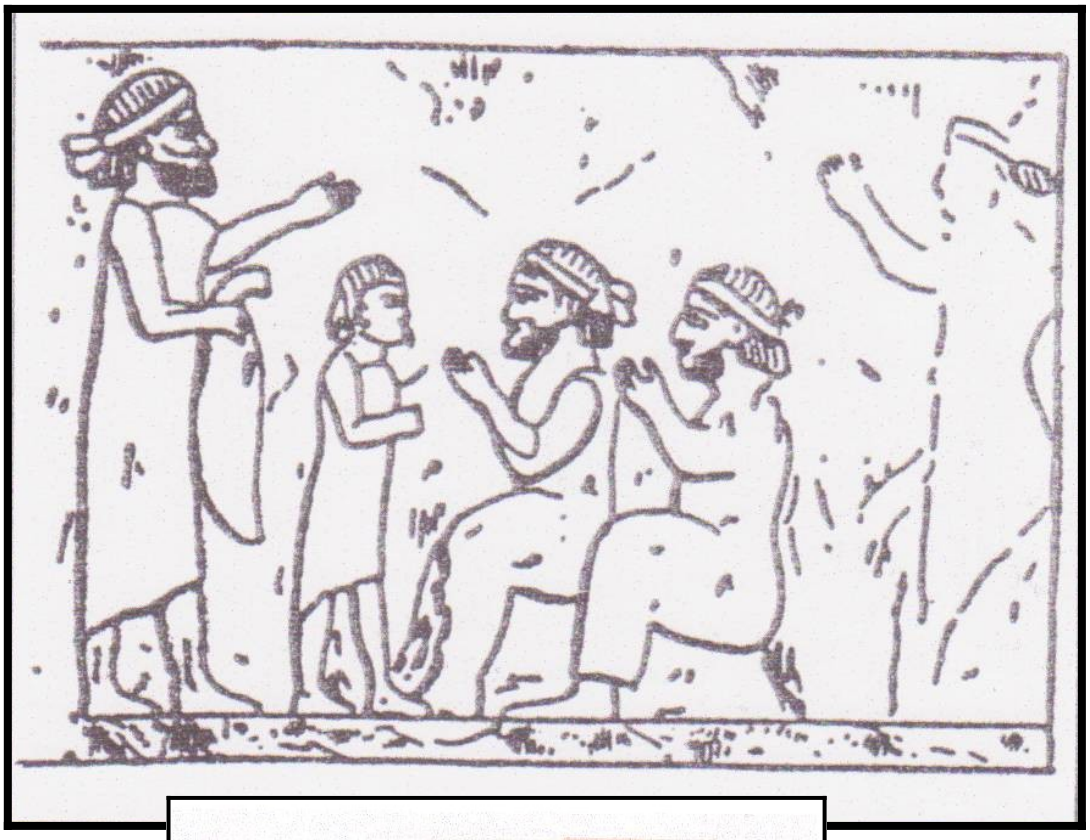

الملحق رقم :18

327 - وليد الجادر و عبد الإله فاض

منحوتة من الحجر من القصر المركزي للملك تجلاتبليزر الثالث يظهر فيها كاتبان يقومان بإحصاء الغنائم في إحدى الحملات العسكرية على جنوب بلاد بابل[328]

الملحق رقم : 19

[328] - عامر عبد الله الجم

مسلة من الحجر عثر عليها في " عنه" و هي تظهر كاتباً يخلد و يسجل أحداث ووقائع معركة حربية[329]

الملحق رقم :20

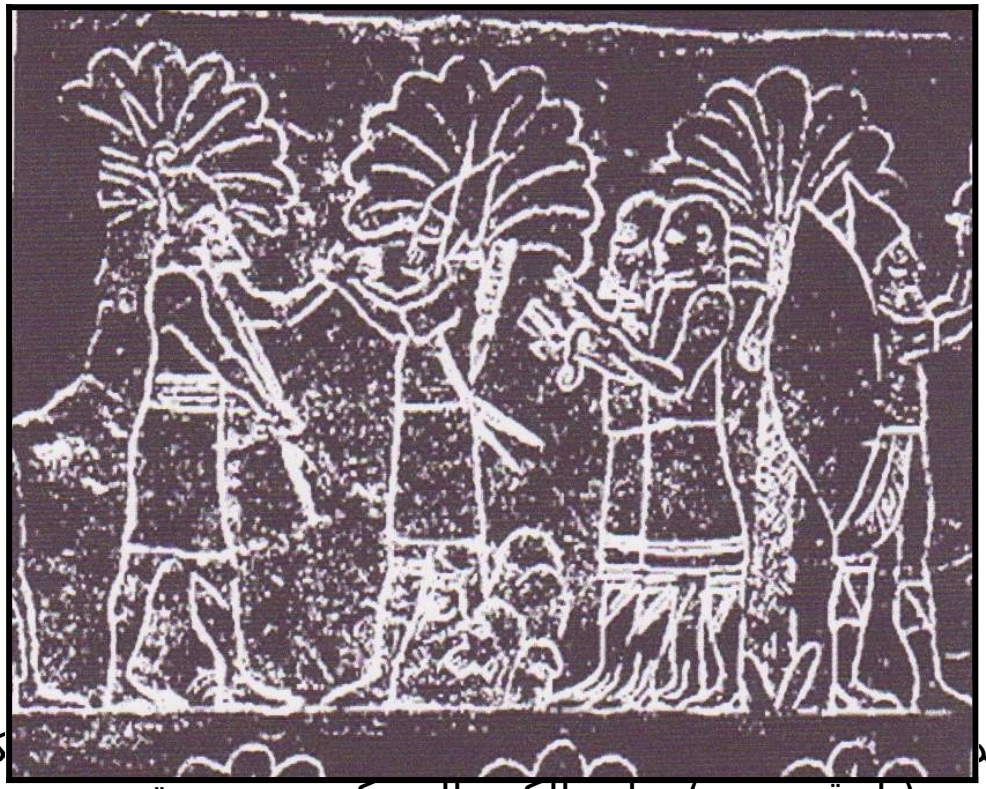

مشاهد كائن في نينوى (تل قوينجيق) تظهر الكتبة العسكريين وهم يقومون بعملية إحصاء القتلى من الأعداء العيلاميين، وغنائم المعركة بجنوب بلاد بابل وعيلام[330]

[329] - المرجع السابق، ص 165.
[330] - المرجع نفسه، ص 168.

الملحق رقم :21

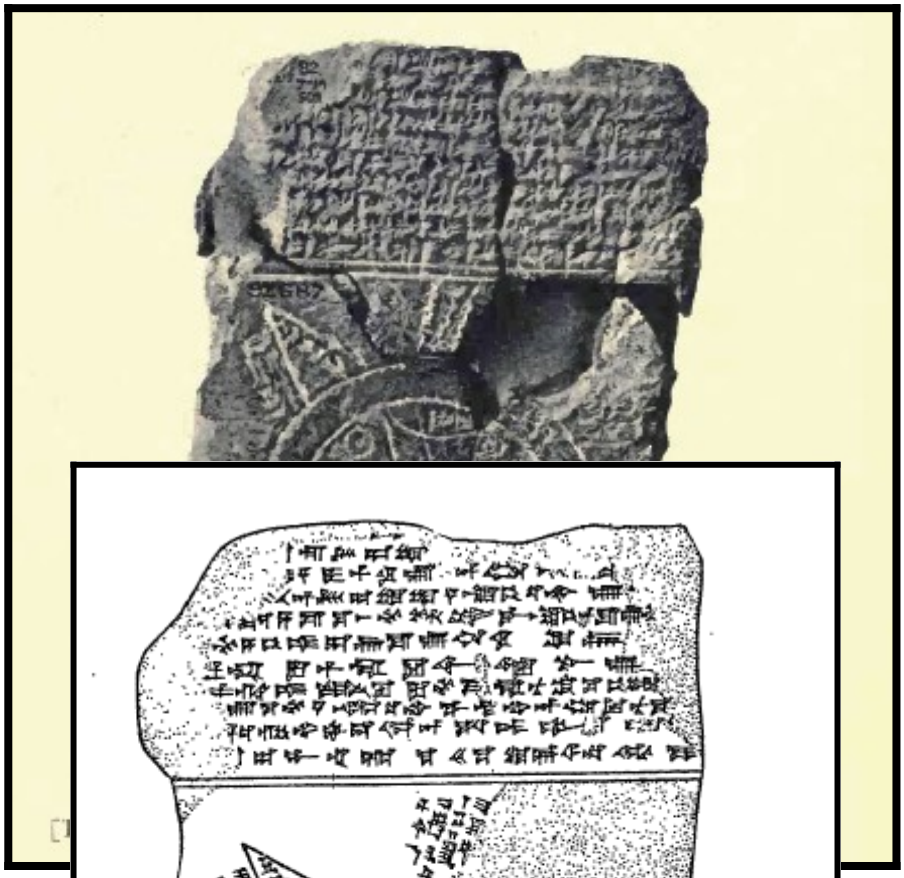

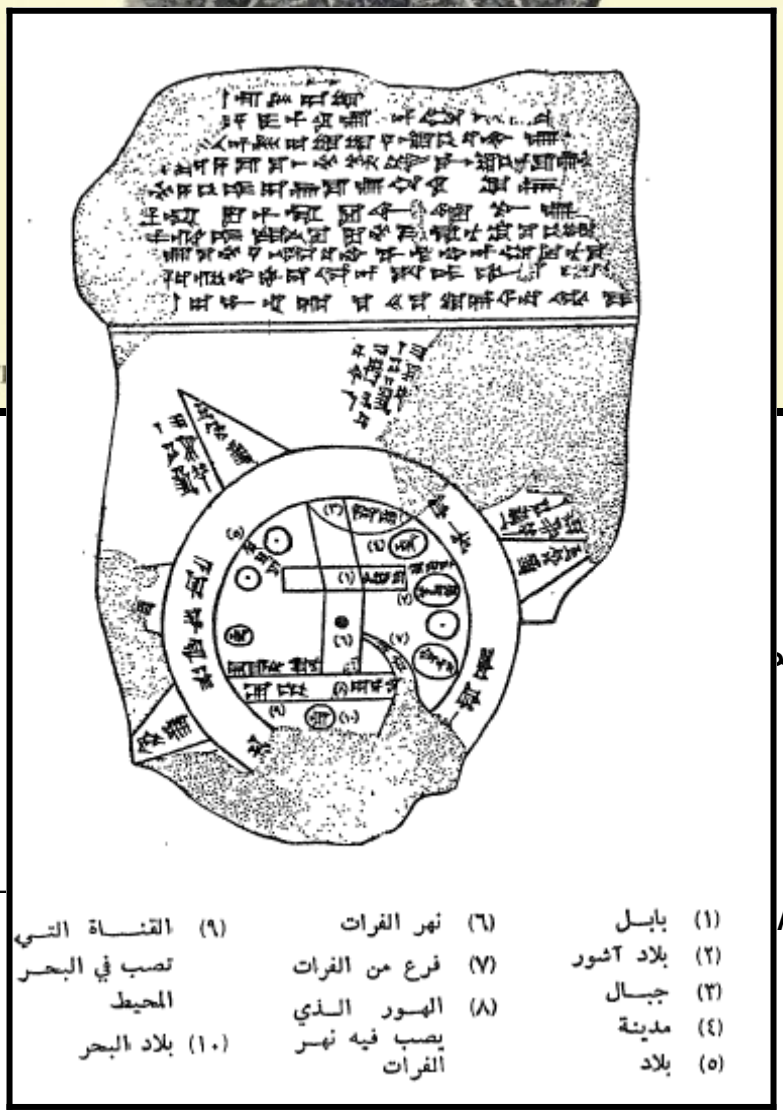

(١) بابـل
(٢) بلاد آشور
(٣) جبـال
(٤) مدينة
(٥) بلاد
(٦) نهر الفرات
(٧) فرع من الفرات
(٨) الهـور الـذي يصب فيه نهـر الفرات
(٩) القنـاة التـي تصب في البحـر المحيط
(١٠) بلاد البحر

الملحق رقـ

331 - Antiquities ,p175. E.

رسم توضيحي للخريطة السابقة[332]

الملحق رقم : 23

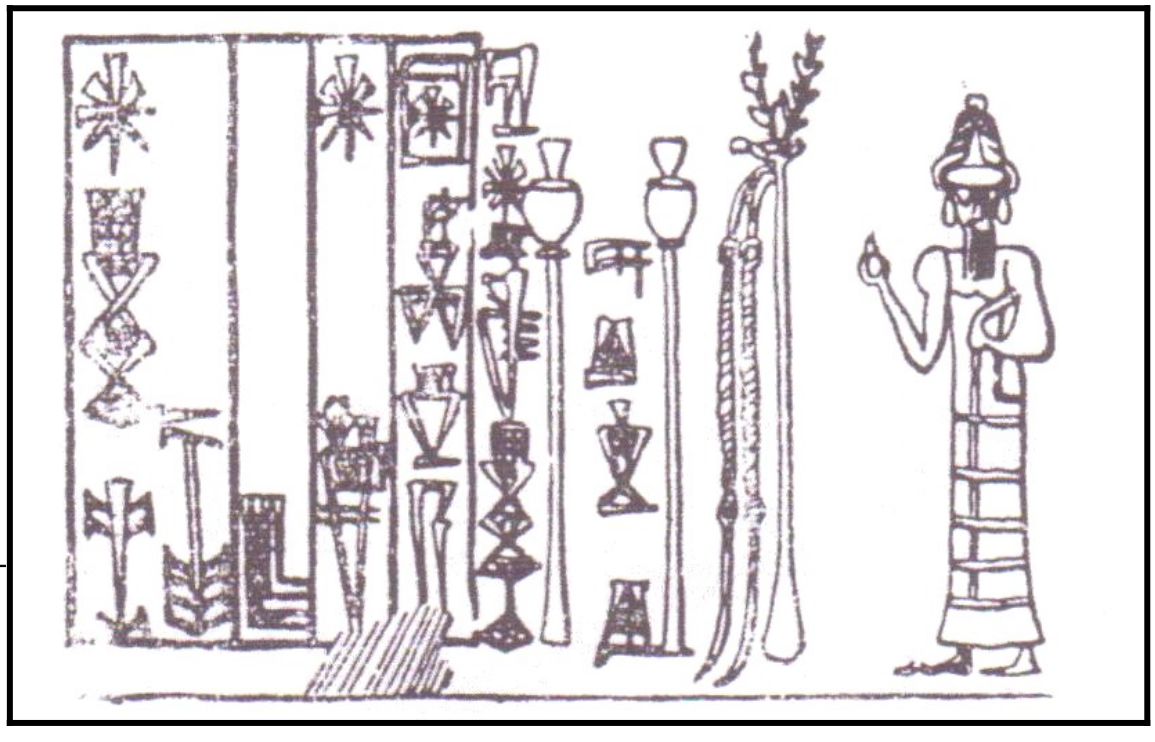

332

ختم اسطواني يعود إلى طبيب سومري نقشت فيه بعض آلاته الطبية و اسمه (اور – لوكال- ادنا)[333]

الملحق رقم :24

قطعة [334]

Clay model of a liver inscribed with omens and magical formulæ.
[Table-Case E, No. 148; No. 92,668.]

[333] - المرجع نفسه، ص 369.

[334] - E. A. WALLIS BUDGE ,**A GUIDE to the Babylonian AND Assyrian Antiquities**, p174.

الملحق رقم : 25

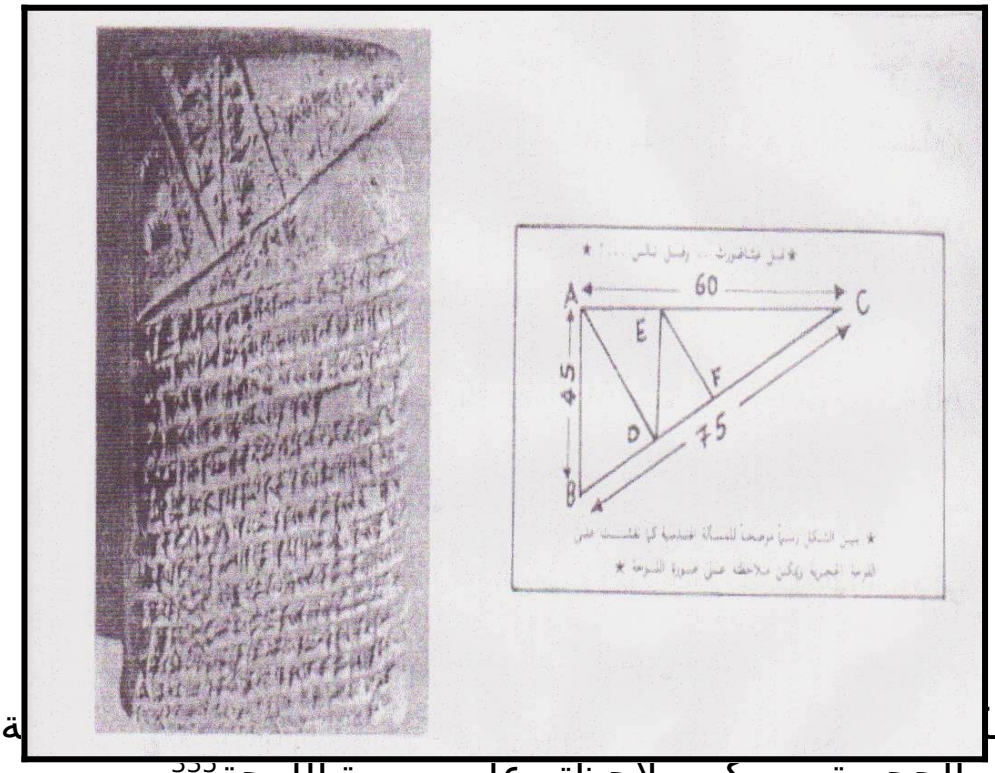

يبين الشكل رسما توضيحا للمسألة الهندسية في نفس الوثيقة الحجرية و يمكن ملاحظته على صورة اللوحة[333]

الملحق رقم

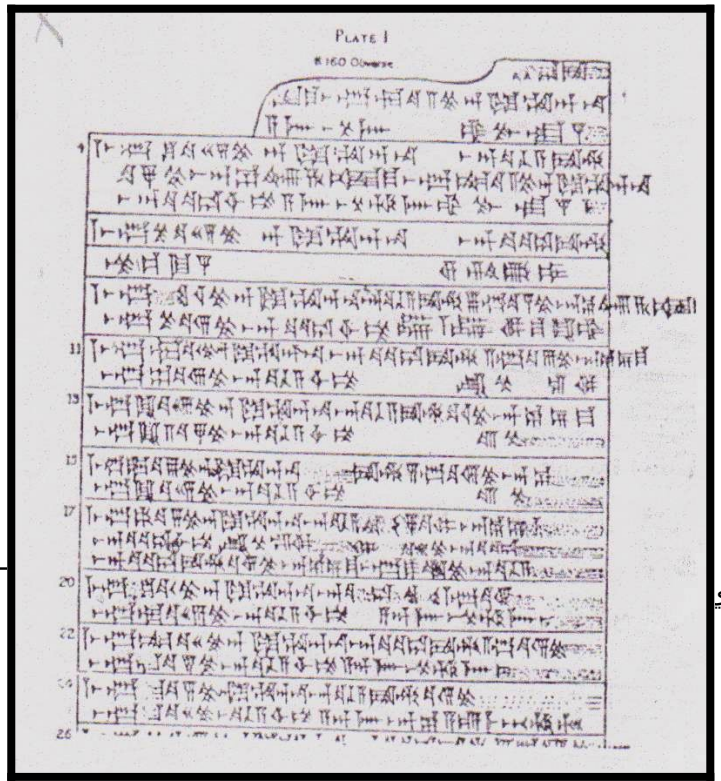

[335] - أسامة الجوهري

أحد الألواح الخاصة بأرصاد الزهرة من زمن " أمي صدوقا" (المتحف البريطاني، رقم K 160 النص العلى من وجه اللوح)[336]

[336] - جورج سارتون، **تاريخ العلم** ، ج1 ، ص 178.

الفهـــارس

فهرس الأماكن

﴿ أ ﴾

آسيا الصغرى: 23، 26، 36.

أشور: 27، 33، 37، 43، 45، 46، 54، 61، 78، 79، 94، 95، 98، 130.

الأناضول: 23، 24.

أور(أوروك): 23، 35، 48، 64، 66، 82، 128.

إيران: 23، 24، 36، 45.

﴿ ب ﴾

بابل: 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 41، 43، 45، 53، 54، 70، 85، 98، 101، 102، 109، 127.

البحر الأحمر: 24 .

بحر قزوين: 23.

بحيرة أورميا: 24.

بغداد: 24، 25، 26.

بورسيبا: 31، 35، 54، 73، 113.

بهستون: 59.

﴿ ت ﴾

تركيا: 23، 24.

تل أسمر: 23.

تل الحريري: 60 .

تل النبي يونس: 37، 38.

تل حرمل: 99، 129 .

﴿ ج ﴾

جبال الزاغروس: 26، 33 .

جبال كردستان: 23 .

جبيل: 52 .

﴿ ح ﴾

الحبشة: 101 .

حرَّان: 42، 46 .

الحلة: 25، 26 .

﴿ خ ﴾

الخليج العربي: 23 .

خورسباد: 45 .

﴿ د ﴾

دجلة: 23، 25، 35، 26، 38، 39، 40، 45، 74، 94 .

دلبات: 35 .

دلمون: 100 .

﴿ ر ﴾
رأس شمره: 80 .
﴿ ط ﴾
طيبة: 43 .
﴿ س ﴾
سيبار: 31، 69، 74، 78، 100، 132 .
سوريا: 24، 26، 40، 41، 42، 81 .
﴿ ش ﴾
شروباك: 69، 73 .
شط العرب: 24 .
﴿ ع ﴾
العراق: 24، 26، 37، 66، 70، 74، 85، 90، 92، 115، 126، 127، 131 .
عيلام: 98، 130 .
﴿ ف ﴾
فارس: 23، 26، 61 .
الفرات: 23، 24، 25، 26، 27، 37، 100 .
فلسطين: 40، 41، 42 .
﴿ ق ﴾
قوينجيق: 37، 39، 76، 77، 78 .
﴿ ك ﴾
كرمنشاه: 26، 61 .
كيش: 31، 35، 56 .
﴿ ل ﴾
لارسا: 35، 118 .
لكش: 66، 84، 92 .
﴿ م ﴾
ماري: 31، 130، 131 .
مصر: 40، 41، 45،42، 46، 51، 105.
ممفيس: 42 .
الموصل: 75، 76، 77 .
﴿ ن ﴾
نفر: 42، 66، 87، 114 .
نمرود (كالح): 37، 38، 45، 46، 55، 77، 117 .
نيبور: 33، 100، 112 .
نينوى: 24، 28، 34، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 45، 46، 75، 78، 104، 107، 118 .
﴿ و ﴾
واحة تيماء: 35 .
وادي النيل: 23، 51، 84 .
الوركاء: 56، 57، 64 .

فهرس الأعلام

أسرحدون: 33، 34، 42، 55، 76 .
أشور أوبليط: 95،.
أشور ايتيل إيلاني: 44 .
أشوربانيبال: 37، ، 39، 40، 41، 42، 43،44، 55، 76، 77، 78، 79، 80، 83، 86، 105، 114، 117 .
إقليدس: 129 .
امي صدوقا: 133 .
أنتيمينا: 93 .
أنكيدو: 56، 84، 85 .
إنليل : 38، 81 .
أوكال زاكيزي: 93 .
إياناتم: 94 .
أيريشكيجال: 56 .

إيساجيل(هيكل مردوخ): 34 .
إينانا: 63، 90 .
أيوب البابلي: 85 .

﴿ ب ﴾
بسماتيك الأول :43 .
بليت صير: 56.
بول بوتا:76.
بوليبيوس:24.

﴿ ت ﴾
تغلات فلاسر الثالث(تكلات بلاصر):40، 41، 61.
تموز(دموزي): 56
توكوتلي ننورتا الأول:43، 133.

﴿ ج ﴾
جلجامش(كلكامش): 56، 83، 84، 85، 98.
جورج سميث: 75 ، 83.
جي-أوبرت:62.

﴿ ح ﴾
حمورابي:31، 32، 33، 39، 69، 111، 116، 132، 133.

﴿ د ﴾

داريوس:61.
ديفونطس:127.

﴿ ر ﴾
رتا-مردوخ:98.
رولنصن:61، 62.

﴿ ز ﴾
زن-شوم-ليشير: 44.

﴿ ط ﴾
طهرقا: 42، 43 .

﴿ س ﴾
سابيوم: 41 .
سارغون الثاني (سرجون): 39، 40، 43، 75، 93، 97، 99 .
سترابون: 24 .
سمسو-إيلونل: 128 .
سنحاريب: 33، 34، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 75 .
سن شر اشكن: 46 .
سين مبلط: 31 .

﴿ ش ﴾

شايل: 118 .
شلمنصر الثالث: 95 .
شمش شم أوكن: 43 .

﴿ ع ﴾

عشتار: 83 .

﴿ ف ﴾

فوكس تابلوت: 62 .
فيثاغورث: 129 .

﴿ ك ﴾

كريستيان رسام: 77 .
كورش: 36 .

﴿ ل ﴾

لايارد: 38، 75، 76، 77، 78، 83 .

﴿ م ﴾

مردوخ(مردوك): 30، 31، 32، 33، 34، 44، 54، 55، 86 .
ميركال: 44 .

﴿ ن ﴾

نابو: 31، 32، 54، 55 .
نابو بلاصر: 30، 34، 45 .
نانزاو: 107 .
نابونير: 35 .
نبوخذنصر الأول : 55، 98 .
نبوخذنصر الثاني: 25، 26، 27، 28، 35، 54 .
نركال: 39، 44، 55، 56، 82 .
ننجشزيدا: 106 .
نوجيباور: 128 .
نيسابا: 53، 54، 55 .

﴿ ه ﴾

هرمز رسام: 76، 77، 79 .
هيستاسب: 61 .
هيرودوت: 27، 28، 29، 30، 31، 134 .
هيرون: 127 .

محتويات البحث

المقدمة :
فصل تمهيدي:
1-أهمية حضارة العراق القديم..... 09.
2-المصادر الكتابية 12
3-الرحلات و البعثات الأثرية 14
4-فك رموز الكتابة المسمارية 19
الفصل الأول : الإطار الجغرافي و التاريخي لبابل و نينوى
1-بلاد الرافدين 23
2-بـــابل 25
3-نينـــوى 37
الفصل الثاني : تـراث الـكتبة
1-اكتشاف الكتابة و تطورها.....50
2-الـــكتبة 63
3-مكتبة نينوى 74
الفصل الثالث : إسهام البابليين و الأشوريين في العلوم الإنسانية
1-الأدب 80
2-التاريخ 92
3-الجغرافيا 100

الفصل الرابع : إسهام البابليين و الأشوريين في العلوم البحتة
1-الـطب 105
2-الـقوائم 118
3-الرياضيات 122
4-التنجيم و الفلك 130
خاتمة 137
قائمة المصادر و المراجع..... 142
الملاحق 148
الفهارس..... 175